جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

أنظمة الربط وأثرها البلاغي في التماسك النصي سورة "التكوير" نموذجا

إعداد

د/ أشرف محمود عبدالهادي الدمهوجي
مدرس البلاغة والنقد
في كلية اللغة العربية فرع جامعة الأزهر بالمنوفية

(العدد السابع والثلاثون)
(الإصدار الثالث .. أغسطس)
(١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م)

علمية - محكمة - ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

أنظمة الربط وأثرها البلاغي في التماسك النصي سورة "التكوير" نموذجا

أشرف محمود عبدالهادي الدمهوجي

قسم البلاغة والنقد /كلية اللغة العربية بالمنوفية/ جامعة الأزهر الشريف / مصر

البريد الإليكتروني: ashrafeldamhogylan@azhar.edu.eg

الملخص:

هذه دراسة موجزة تكشف عن الأثر البلاغي للتماسك النصي في سورة التكوير من خلال أنظمة الربط اللفظية والمعنوية، ومن المعلوم أن النص الإلهي معجز في نظمه لفظا ومعنى، ومعجز في تماسكه وانسجامه، ولا شك أن الباحث في النص القرآني يتعامل معه على أنه وحدة واحدة مترابطة، فالتماسك النصي يقوم بالربط بين الجمل على مستوى السورة الكريمة، فيسهم هذا الربط في تقوية الأسباب بين الجمل، فيجعل عناصر النص متماسكة معبرة عن فكرة واحدة تشمل المعاني التي تحتويها هذه الجمل، كما أنها تجسد علاقة دلالية بين الجمل من ترتيب، أو تعقيب، أو سببية، أو اشتراك، أو جمع، وهذه العلاقة تسهم في استمرارية النص وفهم أحداثه، فيكون الحاصل نصا متماسكا من خلال العلاقات البنيوية بين الأجزاء وصولا إلى المعنى الكلي، والدلالة المهيمنة وصولا إلى مضمون النص، وبهذا يكون التحليل النصي عبارة عن الأنظمة التي يربط بها بين أوجه الدلالة الكامنة في أرجاء النص ، وبالتالي إسناد الأدوار إلى أجزاء النص في كيفية وجودها داخله.

وأثبت البحث أن الدراسات اللغوية القديمة اعتنت اعتناء شديدا بالتماسك والترابط بين أطراف النص، فكان التكامل بين أجزائه أمرا ضروريا؛ ليصبح النص نسيجا واحدا.

الكلمات المفتاحية: التماسك النصي، أنظمة الربط، التحليل النصي، التناسب المعنوي، تشارب المعاني، سورة التكوير)

❁❁❁❁❁

Linkage systems and their rhetorical impact on textual cohesion Surat At-Takwir is an example

Ashraf Mahmoud Abdel-Hadi Al-Damhoji
Department of Rhetoric and Criticism / Faculty of Arabic Language in Menoufia / Al-Azhar University / Egypt
E- mail : ashrafeldamhogy.lan@azhar.edu.edueg .

Abstract:

This is a brief study that reveals the rhetorical impact of the textual coherence in Surat At-Takwir through verbal and intangible linking systems. It is known that the divine text is miraculous in its wording, organization and meaning, and miraculous in its coherence and harmony. There is no doubt that the researcher in the Qur'anic text deals with it as one interconnected unit. Textual coherence links the sentences at the level of the noble surah, and this linking contributes to strengthening the reasons between the sentences, making the text elements coherent and expressing one idea that includes the meanings contained in these sentences, and it also embodies a semantic relationship between the sentences such as arrangement, commentary, or causation. , or subscribe, or collect, This relationship contributes to the continuity of the text and the understanding of its events, so the result is a coherent text through the structural relationships between the parts, leading to the overall meaning, and the dominant significance, leading to the content of the text. Assigning roles to parts of the text in how they exist within it.

The research proved that the ancient linguistic studies took great care of the coherence and interdependence between the parts of the text, so the integration between its parts was necessary. For the text to become a single fabric.

Keywords: Text Coherence - Linking Systems - Textual Analysis - Semantic Proportionality - Impartiality Of Meanings-Surah At-Takwir.

المقدمـــة

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾ [الكهف: ١]، وبهر ببيان تراكيبه وبلاغة تعابيره العلماء، أنزله بحجج بيّنات، وفصّله سوراً وآيات، ونظمه بإحكام عجيب فاق جميع المعجزات، والصلاة والسلام على من أنزل على قلبه القرآن محمد –ﷺ–، فقرأه وتدبره، وآمن بمحكمه ومتشابهه، ورضي الله عن صحابته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن اللغة المنطوقة والمكتوبة من أهم وسائل الاتصال والتواصل بين بني البشر، ومن ثم حظيت بنصيب وافر من الاهتمام والدراسة، وكان من أهم الدراسات التي تعنى بالقرآن الكريم الدراسات البلاغية، وبخاصة التي تتعلق بأدوات الربط بين الجمل والمفردات وأهميتها في التماسك النصي، فكان هذا البحث الموسوم بـ" أنظمة الربط وأثرها البلاغي في التماسك النصي سورة (التكوير) نموذجا"، واختياري لأنظمة الربط وعنصر التماسك النصي محورا لهذا البحث؛ كان نتيجة كونه محورا للدراسات النصية، والمدار الذي تدور في فلكه جُل نظريات التحليل النصي، فعلى أساسه تبنى علاقة الكلمة بما جاورها، وعلاقة الجملة مع الجمل الأخرى، وهكذا؛ لنصل بتلك الجمل إلى بناء نص كلي متماسك، أو بنية كلية ذات ترابط وثيق على المستوى الشكلي من خلال الضمائر الإشارية والموصولية، وعلاقات الاستبدال بين الكلمات المختلفة أو الجمل، والتكرار، والمطابقة(الاتساق المعجمي)، والحذف، وغيره من الأدوات التي تحقق التماسك بين أجزاء النص على المستوى الدلالي من خلال اعتبار النص وحدة دلالية كبرى تتألف من وحدات دلالية جزئية تتآلف فيما بينها؛ لتكون الدلالة الكلية للنص.

<u>وسبب اختياري لسورة التكوير؛ تضمنها مجموعة من أنظمة الربط بطريقة لافتة للنظر</u>؛ ولما فيها من اتساق وانسجام من خلال توظيف مختلف الروابط اللغوية العربية اللفظية والمعنوية، فكانت من الأهمية بمكان في بناء النص؛ فضلا عن تميزها بقصر العبارات مع كثرة المعاني وتنوعها التي

استنبطها العلماء من آي هذه السورة الكريمة.

هدف البحث: الكشف عن وسائل التماسك النصي وأثرها البلاغي، وصولا إلى القواعد النصية التي استند عليها التماسك، كما يهدف إلى محاولة وضع طريقة جديدة لتحليل النص.

منهج البحث: حرص البحث أن يسلك المنهج الوصفي التحليلي في ضوء معطيات اللسانيات النصية، ومن ثمَّ المنهج النصي الذي يدرس النص بوصفه كلا متكاملا، ووحدة لا تتجزأ.

أسباب اختيار الموضوع:

١- خدمة القرآن الكريم بإضافة جهد متواضع إلى جهود من سبقني في دراسة إعجاز القرآن، فأي دراسة للقرآن تعد محاولة للاقتراب من فهمه وبيان إعجازه.

٢- ندرة الدراسات النصية التطبيقية المتعلقة بالقرآن الكريم، ولا شك أن مما يميز هذه الدراسة أنها خاضت تحليل نص معجز (القرآن الكريم) في ضوء منهج لساني نصي؛ مما يؤكد الإعجاز البياني للنظم القرآني الذي يصلح لكل زمان ومكان.

٣- الرغبة في ربط هذا الموضوع بما أظهرته المدارس اللسانية العربية الحديثة التي لم تكتف بالروابط اللفظية فحسب، بل تعدت ذلك إلى إيجاد روابط معنوية لتماسك النص وانسجامه .

خطة البحث: اقتضت خطة البحث أن يتكون من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، تتبعهما خاتمة، ثم فهرس الموضوعات.

أما المقدمة، ففيها الحديث عن الموضوع وأهميته، وسبب اختياره، والمنهج المتبع، وخطة البحث، وأما التمهيد، فهو تفسير لمفردات العنوان حيث المقصود بـ (أنظمة الربط، والتماسك النصي نشأة وتطورا)، وفيه محوران:

الأول: مفهوم أنظمة الربط، والتماسك النصي في اللغة والاصطلاح.

الثاني: التماسك النصي في التراث العربي، ووسائله، ومعاييره.

المبحث الأول: (من أنظمة الربط المعنوية التناسب بين المقدمات والمعاقد والخواتيم) وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: أثر التماسك من خلال الحديث عن اسم السورة، والغرض منها.

المطلب الثاني: أثر التماسك من خلال مناسبة اسم السورة، وافتتاحها لمضمونها.

المطلب الثالث: أثر التماسك من خلال مناسبة افتتاح السورة لخاتمة ما قبلها، وخاتمتها.

المطلب الرابع: أثر التماسك من خلال مناسبة ترتيب آيات السورة لبعضها البعض.

المطلب الخامس: أثر التماسك من خلال مناسبة خاتمة السورة لافتتاح ما بعدها، ومضمون ما قبلها وما بعدها.

المطلب السادس: أثر التماسك من خلال مناسبة افتتاح السورة لخاتمة ما قبلها وافتتاح ما بعدها، وخاتمة السورة لخاتمة ما قبلها وما بعدها.

المبحث الثاني: (أنساق الروابط اللفظية في سورة التكوير)، وفيه خمسة **مطالب:**

المطلب الأول: الربط بنسق الشرط، وأثره في التماسك النصي.

المطلب الثاني: الربط بنسق الاستفهام، وأثره في التماسك النصي.

المطلب الثالث: الربط بنسق القسم، وأثره في التماسك النصي.

المطلب الرابع: الربط بنسق النفي، وأثره في التماسك النصي.

المطلب الخامس: الربط بالنسق الصوتي، وأثره في التماسك النصي.

المبحث الثالث: تشارب المعاني البلاغية وأثرها في التماسك النصي في السورة الكريمة.

ثم الخاتمة وبها أهم نتائج البحث، ثم الفهارس العلمية.

وبعد، فإني آمل أن ينال هذا البحث القبول والاستحسان، وما الكمال إلا لله وحده، وحسبي أنني أخلصت الجهد، وبذلت المستطاع، والله أسأل أن يمنحني الصواب والرشاد، ويلهمني الحكمة وفصل الخطاب، والله الموفق إلى سواء السبيل.

التمهيد:

(المراد بأنظمة الربط، والتماسك النصي)

قبل أن أدلف إلى الحديث عن المقصود بأنظمة الربط والتماسك النصي، يجدر بي الإشارة إلى الحديث عن المقصود بالتحليل النصي نفسه، والذي يعنى بتفكيك النص وتجزئته إلى بنيته الصغرى، وبالتالي استنطاق الدلالات من خلال العلاقات البنيوية بين الأجزاء وصولا إلى المعنى الكلي، ومن ثمَّ الدلالة المهيمنة مضمون النص، فيكون التحليل النصي بهذا ربطا بين أوجه الدلالة الكامنة في أرجاء النص من خلال تلك الأنظمة التي يربط بها، وبالتالي إسناد الأدوار إلى أجزاء النص في كيفية وجودها داخله.

أما عن المقصود بأنظمة الربط: فهي مجموعة الأدوات والروابط والعلاقات التي تنتظم وتتآلف بإحكام شديد وصولا للغاية من النص، ومن ثمَّ فما المراد من كلمتي (أنظمة، والربط) في المعاجم العربية؟ ورد في مقاييس اللغة: "النون والظاء والميم: أصل يدل على تأليف شيء وتأليفه، ونظمت الخرز نظما، ونظمت الشعر وغيره، والنظام: الخيط يجمع الخرز"(١).

وعند التأمل تجد المعنى الاصطلاحي لا يبعد عن هذا المعنى المعجمي حيث تعلق أجزاء الكلام بعضها ببعض، وشدِّ بعضها بعضا، فتتناغم الألفاظ والمعاني، ويحسن التأليف بينها في "نظام دقيق من العلاقات يربط بين محاورها ومستوياتها؛ لتتولد منه الدلالات وتتكامل بفضله(٢)"، كذلك تجد معاني الربط تدور حول إحكام الشيء وثباته، واجتماعه وعدم تفرقه، "فالراء والباء والطاء: أصل واحد يدل على شد وثبات، ومن ذلك ربطت الشيء أربطه ربطا، والذي

(١)– معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، ٤٤٣/٥، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

(٢)– حركية الإبداع، خالدة سعيدة١٦، ط١، دار العودة بيروت.

يشد به رباط"[١]، وعلى هذا فالربط إحكام للشيء ومنع له من التفرق والضياع، وهو أيضا نظام متبع في أمر من الأمور يصل بصاحبه إلى غاية مرجوة وأمل منشود، فالربط أحد الأعمدة الثلاثة التي يُبنى عليها الكلام، وركن أساس من أركانه لا تتم الفائدة المرجوة إلا بتواجده، كما عبر الخطابي: "وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم"[٢].

وهذا الربط عرفه البلاغيون، فكثرت مرادفات هذه المادة، منها: الائتلاف، الالتحام، الاتساق، التشاكل، التناغم، الانسجام، السبك، الحبك، النظم، الاتحاد، القران، التناسب...إلخ، وقد تنوعت المصطلحات الدالة على استيعاب العقلية البلاغية لهذا المبدأ الذي "يعد من أهم مبادئ ومقاييس الجودة في بيان البلغاء"[٣]، وقد عبروا بألفاظ متنوعة أهمها: القِران[٤]، الالتحام، الالتئام[٥]، السبك، التلاؤم[٦]، الاتحاد[٧].ونخلص من هذا إلى أن قضية (أنظمة الربط) ما هي إلا نظرة كلية للنص منذ مرحلة تكوينه في ذهن قائله إلى أن يصل إلى

(١)- مقاييس اللغة (ربط).

(٢)- بيان إعجاز القرآن لأبي سليمان الخطابي، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن-/٢٧ تحقيق: محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام، ط٦ ، دار المعارف.

(٣)- مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء، د/ حامد صالح الربيعي/٢٧٥، مكتبة الملك فهد الوطنية ١٩٩٦م.

(٤)- البيان والتبيين، للجاحظ ٦٨/١ ، دار ومكتبة الهلال، بيروت : ١٤٢٣ هـ.

(٥)- شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، المرزوقي، تعليق/غريد الشيخ١٠/١، ط١، دار الكتب العلمية ٢٠٠٣م.

(٦)- كتاب الصناعتين، العسكري/١٢٩، تحقيق/عبدالمحسن سليمان، ط١، المكتبة التوقيفية ٢٠١٣م.

(٧)- دلائل الإعجاز/٩٣، تعليق محمود محمد شاكر أبو فهر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، ط٣، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م .

أذن وقلب السامع.

وها هو الإمام الفذ "عبدالقاهر الجرجاني" يتحدث في دلائل الإعجاز عن النظم يتحد في الوضع، ويدق فيه الصنع – أذكره بنصه لما فيه من فوائد جمة توضح أصالة التراث البلاغي، ومكانته في الدراسات اللسانية الحديثة –: "اعلمْ أنَّ ممَّا هو أَصلٌ في أنَ يدِقَّ النظرُ، ويَغْمُضَ المَسْلكُ في توخِّي المعاني التي عرفتَ أنْ تتَّحِدَ أجزاءُ الكلامِ ويَدخلَ بعضُها في بعضٍ، ويشتدَّ ارتباطُ ثانٍ منها بأول، وأن تحتاج في الجِملة إلى أن تضَعَها في النفس وضعًا واحداً...، فإنه يجيءُ على وجوهٍ شتَّى، وأنحاءَ مختلفةٍ"(١)، ثمَّ نجده يرسم لنا أمثلة من أنظمة الربط، فيذكر بعض وجوهها، ومنها:

- **المزاوجة بينَ معنيينِ في الشرط والجزاء معاً، كقول البحتري:**

إذا ما نَهى النّاهِي فلجَّ بيَ الهوى ... أصاختْ إلى الوَاشِي فلجَّ بها الهجرُ

- **ومنه "التقسيمُ"، وخُصوصاً إذا قسمت ثم جمعت، كقول حسان:**

قَومٌ إذا حارَبوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمُ ...أوْ حاوَلوا النفْعَ في أَشياعِهِمْ نَفَعُوا

سَجِيَّةٌ تلك منهمْ غيرُ مُحْدَثَةٍ ... إنَّ الخلائقَ، فاعْلمْ، شرُّها البِدَعُ

ثم يعلق الإمام بعد ضرب أمثلة الربط قائلا: "وإذْ قد عرفتَ هذا النمطَ منَ الكلام، وهو ما تتَّحِدُ أَجزاؤه حتى يُوضَعَ وَضْعاً واحداً، فاعلمْ أَنه النمطُ العالي والبابُ الأَعْظم، والذي لا تَرى سلطانَ المزيةِ يَعْظُم في شيءٍ كَعِظَمه فيه"(٢)؛ مما يؤكد أن الإمام كان مهموما بقضية الربط بين أجزاء الكلام، فهو من النمط العالي ولا يدركه إلا المتمرس في فنون الكلام، وفي كلامه إشارة واضحة إلى وجوب النظرة الكلية للنص، وعدم فصل بعض أجزائه عن بعض، والذي أُطلق

(١)–دلائل الإعجاز/٩٣.

(٢)– السابق/٩٥.

عليه التماسك النصي، ومن ثَمَّ فما المقصود به؟ تدل مادة: (مسك) في المعاجم العربية، على الترابط التام والصلابة والمتانة والحبس: "الميم والسين والكاف: أصل واحد صحيح يدل على حبس الشيء، أو تحبسه"(١)، وفي لسان العرب: "ومَسَكَ بالشيءِ، وأَمْسَكَ بِهِ، وتَمَسَّكَ، وتَماسك، واسْتمسك ومَسَّك، كُلُّه: احْتَبَس، وَفِي التَّنْزِيلِ:﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ ﴾[الأعراف:١٧٠] (٢).

أما عن المعنى الاصطلاحي: فيعنى بالربط بين عناصر نص ما، كالكلمات والجمل والمقاطع بواسطة أدوات لسانية محضة كالعطف، والتعريف، والحذف، والتكرار...إلخ، بحيث يبدو الموضوع في صورته النهائية نظاما متكاملا، وبناء متعاضدا؛ حيث ترتبط الأسباب بالمسببات، والنتائج بالمقدمات، مع التدعيم بالدلائل التي تؤكد الحقائق، وتربط بينها؛ لتكون في النهاية موضوعا تسلسلت أفكاره وترابطت في شكل منطقي، فهي أدوات كلامية تسوس العلاقات المتبادلة بين التراكيب.

التماسك النصي في التراث العربي: إذا تأملنا التراث العربي وجدنا هذا المعنى يظهر بوضوح شديد في تحديد مصطلح التماسك، وهو ما درسه المفسرون الأوائل تحت عنوان(المناسبة)، وتعني: "جعل الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء"(٣). وممن أكثر من إبراز الروابط والمناسبة في تفسيره الإمام فخر الدين الرازي(٦٠٦هـ)، قائلا: "أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات

(١)- مقاييس اللغة (مسك).

(٢)- لسان العرب، ابن منظور(مسك١٠/٤٨٧) دار صادر – بيروت، ط٣- ١٤١٤هـ.

(٣)- البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي١/٣٦، ط١، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

والروابط"[١]؛ وذلك لدقتها.

ونرى الإمام "الرازي " في كتابه (نهاية الإيجاز) يذكر أن علامة جودة القريحة، ودليل قوة الطبع، وشارة استقامة الذهن، كل هذا متمثل في حسن الربط بين الكلام وتعليق بعضه ببعض بصورة متماسكة: "وكلما كان أجزاء الكلام أقوى ارتباطا، وأشد التحاما، كان أدخل في الفصاحة"[٢]. ويعدد الإمام "الرازي" وجوه التماسك والربط بين الكلام، فيوصلها إلى ثلاثة وعشرين وجها منها: المطابقة، والمقابلة، واللف والنشر، والتعديد، ومراعاة النظير...، فيذكر في آخر كلامه:" وقد اقتصرنا على هذا القدر من الأمور التي تربط الجمل بعضها بالبعض، وإن كان ما بقى أكثر مما أوردناه"[٣].

ونجد مصطلحات تعنى بأنظمة الربط والتماسك النصي عند مدرسة شرَّاح التلخيص، فنجد أوجه الالتقاء بين البدء والآخر كالتسهيم، أو التوشيح، والتصدير، ورد العجز على الصدر، وتشابه الأطراف، وأخرى تبحث في علاقة الآخر بالمقاصد كالتذييل وحسن الخاتمة، وثالثة تلاحظ المطلع وانسجامه مع الأغراض كبراعة الاستهلال أو المبادئ والمطالع[٤]، وهذا يؤكد أن الدراسات اللغوية القديمة اعتنت اعتناء شديدا بالتماسك والترابط بين أطراف النص، فكان التكامل بين أجزائه أمرا ضروريا؛ ليصبح النص نسيجا واحدا.

ومن الترابط والتماسك اختيار الألفاظ وإبدال بعضها من بعض؛ مما يوجب

---

(١)–البرهان، الزركشي١/٣٦.

(٢)– نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز لفخر الدين الرازي/١١٠، مطبعة الآداب بالقاهرة ١٣١٧هـ.

(٣)–نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز لفخر الدين الرازي /١١٦.

(٤)– ينظر: التناسب في تفسير الإمام الرازي دراسة في أسرار الاقتران د/ منال مبطي المسعودي/٨٥، ط١، مكتبة وهبة ٢٠١٠م.

التئام الكلام ، ففي سياق التعليق على بعض أبيات من الشعر عبَّر أبو هلال: "وينبغي أن تجعل كلامك مشتبها أوله بآخره، ومطابقا هاديه لعجزه، ولا تتخالف أطرافه، ولا تتنافر أطراره، وتكون الكلمة منه موضوعة مع أختها، ومقرونة بلفقتها، فإن تنافر الألفاظ من أكبر عيوب الكلام..."(١)، وهو ما عبَّر عنه "أسامة بن منقذ" قائلا: "خير الكلام المحبوك المسبوك الذي يأخذ بعضه برقاب بعض"(٢)، فنجد السبك والحبك(التماسك النصي) في كلام "ابن منقذ "بوضوح شديد، والنظم القرآني هو أوضح نص تتجلى فيه مظاهر التماسك النصي؛ حيث النص الإلهي المعجز في لفظه ونظمه ومعناه، والمعجز في تماسكه وانسجامه، ولا شك أن الباحث في النص القرآني يتعامل معه على أنه وحدة واحدة مترابطة.

يؤكد هذا ما قاله الإمام عبدالقاهر: "فلا نظم في الكلم، ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك، وهذا ما لا يجهله عاقل، ولا يخفى على أحد من الناس"(٣)، ويعضد هذا ما قاله في أسرار البلاغة" الألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربا خاصا من التأليف، ويعمد بها إلى وجه من التركيب والترتيب"(٤). من هنا صار التماسك النصي إحدى وسائل إنتاج الدلالة في الوصول للمعاني، فالدلالة تتولد من التركيب، وتستمد وجودها وكيفيتها ومداها من ارتباطاته، وعليه، فإن التركيب متى أفقد الدلالة أفقد

(١)- الصناعتين: أبو هلال العسكري /١٦٠ تحقيق /علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم: المكتبة العنصرية – بيروت، : ١٤١٩ هـ .

(٢)- البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ/١٦٣، تحقيق د/أحمد بدوي، د/حامد عبدالمجيد.

(٣)- دلائل الإعجاز/٣٧.

(٤)- أسرار البلاغة، عبدالقاهر الجرجاني/٣ قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.

قيمتـه؛ لأنـه إنمـا وضـع لأجلهـا وصـيغ لتوصـيلها[١]. ويـرى "إبـراهيم خليـل" أنَّ: "التماسك النصي هو العلاقات، أو الأدوات الشكلية والدلالية التي تسهم في الربط بين عناصر النص الداخلية وبين النص والبيئة المحيطة"[٢]. ومن خلال ما سبق ظهر بوضوح أن قضية التماسك النصي من القضايا التي اهتم بها (علم اللغة النصي) بوصفها الشرط الرئيس لكون كلام معين نصا؛ فبها تفرق بين النص واللانص(الجيد والرديء).

وسائل التماسك النصي: يمكن تقسيم هذه الوسائل إلى قسمين:

الأول: وسائل تماسك داخلية مثل: العطف، والفصل والوصل، والترقيم، وأدوات التعريف، والأسماء الموصولة، والحال، والزمان، والمكان، والرتبة، والإسناد، ونلاحظ أن دور هذه الوسائل يقتصر على إحداث التماسك الداخلي في النص. الثاني: وسائل تماسك خارجية مثل: المرجعية، أو الإحالة، والإشارة، وهذه تسهم في الربط بين ما يوجد داخل النص، وما يتصل به من خارجه.

وجدير بالذكر أن نشير إلى تلك المعايير التي تعد أساسا في التماسك النصي وهي:

١- التماسك (الترابط التركيبي) ويترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي، وبحيث يمكن استعادة هذا الترابط، ووسائل التضام تشتمل على هيئة نحوية للمركبات والتراكيب، وعلى أمور مثل: التكرار، والألفاظ الكنائية،

(١)- ينظر: أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث، توفيق الزيدي/٧٣، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٤م.

(٢)- أسلوبية ونظرية للنص، إبراهيم خليل/١٣٥، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٩٧م.

والأدوات، والإحالة المشتركة، والحذف، والروابط[١].

٢- الالتحام (الترابط الدلالي)، ويتطلب من الإجراءات ما تنشط به عناصر المعرفة؛ لإيجاد الترابط المفهومي واسترجاعه، وتشتمل وسائل الالتحام على العناصر المنطقية كالسببية، والعموم، ومعلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والمواقف[٢]، وهذان المعياران(التماسك والالتحام) يتصلان بالنص في ذاته[٣].

٣- القصد، قصد قائل النص أن يتمتع النص بالسبك والالتحام، وإن مثل هذا النص وسيلة من وسائل متابعة خطة معينة للوصول إلى غاية بعينها[٤].

٤_ رعاية الموقف(السياقية)، وتتضمن العوامل التي تجعل النص مرتبطا بموقف سائد يمكن استرجاعه، ويأتي النص في صورة عمل يمكن له أن يراقب الموقف وأن يغير، وقد لا يوجد إلا القليل من الوساطة في عناصر الموقف كما في حالة الاتصال بالمواجهة[٥].

(١)- ينظر: النص والخطاب والإجراء، جراند/تمام حسان/١٠٣، ط١، عالم الكتب القاهرة ١٩٩٨م.

(٢)-ينظر: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ت: منذر عياشي/٥٤٠، ط٢، المركز الثقافي العربي، المغرب،٢٠٠٧م.

(٣)- السابق/١٠٣.

(٤)-ينظر: النص والخطاب والإجراء/١٠٣.

(٥)-ينظر: السابق/١٠٤.

المبحث الأول

(من أنظمة الربط المعنوية "التناسب بين المقدمات والمعاقد والخواتيم")

أولا: (السورة الكريمة):

﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ﴿١٣﴾ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ﴿١٤﴾ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ﴿٢٥﴾ فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ **[التكوير ٢٩/١] .**

ثانيا: التناسب بين المقدمات والمعاقد والخواتيم

يظهر التناسب في السورة الكريمة بطريقة واضحة جلية بين اسم السورة ومضمونها والغرض منها، والربط بين المقدمات والخواتيم؛ فيحدث ذلك تماسكا وترابطا؛ حيث يزيد النص جمالا في النفس؛ لما فيه من جودة السبك، وإحكام السرد، ويكون هناك اتساق في معانيه، وإحكام في بيانه، وروعة في أسلوبه، ومن ثمَّ سميت السورة الكريمة باسم أول أهوال يوم القيامة ورودا فيها، وهو تكوير الشمس؛ حيث لم يرد وصف الشمس بهذا اللفظ في غير هذه السورة، وبذلك ظهر التماسك النصي بداية من الحديث عن اسم السورة إلى فاتحتها ومقدمتها، وموضوعها، وغرضها، ومناسبتها لمضمونها، وهي قضايا تمثل جوهر الاتساق والانسجام، ومن ثمَّ تحقّقَ التماسك فيما بينها، فالسورة الكريمة نسيج محكم البناء متلاحم الأطراف، ويتضح هذا جليا من خلال هذه المطالب التي تحاول الكشف

عن أثرهذا التماسك.

المطلب الأول: أ/ أثر التماسك من خلال الحديث عن اسم السورة:

عند إنعام النظر في اسم السورة نجد أن له أثرا كبيرا في إدراك خصائصها وبيانها، فهو أول ما يواجه المتلقي ؛ لما يحتل من مكانة عالية في التحليل النصي، فلكل سورة من سور القرآن الكريم اسم يميزها عن غيرها وله علاقة بمضمونها، حيث يتضمن فكرة النص الرئيسية، وقد وردت لها عدة أسماء توقيفية واجتهادية، فسميت توقيفا بسورة التكوير، وسورة (أ ب ب) [التكوير:١]، أي بأول آية افتتحت بها السورة الكريمة، وسميت اجتهادا بسورة (كورت)؛ تسمية بحكاية لفظ وقع فيه(١)، وآياتها: تسع وعشرون آية، وكلماتها: مئة وأربع كلمات، وحروفها: خمس مئة وثلاثة وثلاثون حرفًا، ونزلت سورة التّكوير بعد سورة المسد، ونزلت سورة المسد بعد سورة الفاتحة، ونزلت سورة الفاتحة فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة؛ فيكون نزول سورة التكوير في ذلك التاريخ أيضا(٢).وهي من السور المكية التي تتمثل فيها خصائص نظم السور التي نزلت في بداية الوحي المكي من قصر سورتها وقوة معانيها وشدة جرسها، فألفاظها فخمة جزلة، يأتي التركيز فيها على ما يرتبط بالساعة من تغيير وتبديل، ويعلو فيها صوت التحذير من عذاب يوم القيامة، ويغلب فيها الأسلوب الخبري مرِّسخا مبادئ العقيدة.

ومن هنا كان عنوان السورة بحق المفتاح الأول؛ للولوج إلى أغوار النص، وأيضا المفتاح الإجرائي الأساسي للمحلل؛ لاستنطاق النص، وهذا من الاتساق

(١)- ينظر: أسماء سور القرآن وفضائلها، د/ منيرة الدوسري/٤٨٤، دار ابن الجوزي: ٢٠٠٥م.

(٢)- ينظر: الموسوعة القرآنية، خصائص السور: جعفر شرف الدين١١/٩٣، المحقق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت، ط١ – ١٤٢٠ هـ .

المعجمي[١] الذي يشكل تماسكا وترابطا نصيا محكما من بدايته إلى نهايته؛ حيث يربط عناصر النص ومفرداته بعضها ببعض عبر العلاقات المعجمية، والدقائق والأسرار البلاغية.

ب/ أثر التماسك من خلال الغرض من السورة:

مضمون السورة والغرض منها يدور حول اسمها، ويعتبر تفصيلا لهذا الغرض، فالسورة الكريمة عبارة عن تصوير حي مشاهد لعملية الانقلاب الكوني، ومشاهد يوم القيامة، يقول ابن عاشور: "اشتملت على تحقيق الجزاء صريحا، وعلى إثبات البعث، وابتدئ بوصف الأهوال التي تتقدمه، وانتقل إلى وصف أهوال تقع عقبه، وعلى التنويه بشأن القرآن الذي كذبوا به؛ لأنه أوعدهم بالبعث زيادة لتحقيق وقوع البحث إذا رموا النبي –ﷺ– بالجنون، والقرآن بأنه يأتيه به شيطان"[٢]، **فالغرض من السورة: إثبات الحساب على الأعمال، وما يتبع هذا من ثواب وعقاب، وبهذا يكون سياقها أيضا في الترهيب والترغيب.**

(١)– وهو: ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص/خطاب ما، ويهتم فيه الوسائل اللغوية(الشكلية)التي تعمل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب/ أو خطاب برمته.(ينظر: لسانيات النص: محمد خطابي/٥).

(٢)– التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ١٤٠/٣٠، الدار التونسية للنشر – تونس: ١٩٨٤ هـ.

المطلب الثاني:

أ/ أثر التماسك من خلال مناسبة اسم السورة لمضمونها: اسم السورة من أشد عناصر النص بروزا؛ لأنه العنصر الموجه لدلالة النص، حيث استخدم اسم أشهر حدث من أحداث يوم القيامة وسميت به السورة، وهو بمثابة النواة المركزية التي تدور حولها أحداث السورة(المضمون)، حيث اشتملت السورة على عدة أمور أشهرها هذا التكوير، ويعني: الجمع[1]، فأول الأحداث بالشمس تكويرها، فجمع بعضها إلى بعض ثم لفت فرمي بها، وإذا فعل بها هذا ذهب ضوؤها، وكل هذا يتناسب مع مضمون السورة، وهو بيان **حقيقتين من حقائق العقيدة الإسلامية:**

الأولى: وصف أهوال الساعة وأشراطها، وكان أظهرها بيانا تكوير الشمس.

الثانية: إثبات البعث والنشور، والتنويه بشأن القرآن الكريم ببيان أنه منزل من عند الله –جلَّ جلاله–كل هذا جاء بأسلوب الترهيب والتهديد والتهويل من خلال اسم السورة الكريمة(التكوير)، وفي هذا دلالة واضحة على التماسك النصي، وقوة السبك والحبك داخل السورة الكريمة؛ لما للنظم القرآني من القدرة العجيبة والخصوصية الفائقة القادرة على تصوير الغيب، وكأنه واقع تراه العين، ويدرك هذا التماسك والتلاحم والانسجام مَنْ يتتبع طرائق السورة الكريمة من خلال أنظمة الربط اللفظية والمعنوية؛ فيقف على إعجاز النص القرآني ودقة نظمه.

(١)– المراد" لُفَّتْ وذهبَ بِنُورِهَا، وَأَصْلُ التَّكْوِيرِ: الجَمْعُ مَأْخُوذٌ من: كَارَ العِمَامَةَ إذا جَمَعَهَا وَلَفَّهَا" (غريب القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري/٥١٦، المحقق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية ، ١٣٩٨هـ).

ب/ التماسك من خلال مناسبة افتتاح السورة لمضمونها:

استهلت السورة الكريمة بقوله: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾، فجاء الحديث في مطلع السورة عن وقوع تكوير الشمس، وانكدار النجوم، وتسيير الجبال ...إلخ ،كل هذا تقرير حقيقة ضخمة من حقائق العقيدة، حيث بدأت ببيان حقيقة يوم القيامة، فكان تقديم الشمس في افتتاح السورة للعناية والاهتمام، وتكمن أهميتها عند الإنسان على الأرض، وهذا يتساوى فيه العالم الباحث الذي نقب عن معرفة حقيقة الشمس، فأدرك أهميتها، وعلم أنها سر الحركة على الأرض، وأدرك أنها تعد نجما عاديا في مجموع النجوم، فالله –عز وجل– خصها بخصائص إعجازية، كما يتساوى العامي الذي ينظر إليها بنظرته المحدودة حسب علمه ومعرفته، وأنها مصدر الدفء والضوء والنور، وهذا ما يسميه د/"محمد عبدالله دراز" بالخطاب القرآني الموحد، ويعتبره وجها من وجوه الإعجاز البلاغي(١)، فتناسب الافتتاح مع ما تضمنته السورة الكريمة من الحديث عن تحقيق الجزاء صريحا، ثم تواصل الآيات استكمال الحديث عن مضمون السورة من إثبات البعث، فابتدئ بوصف الأهوال التي تتقدمه، وانتقل إلى وصف أهوال تقع عقبه، ففي قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ﴾ [التكوير ١٩–٢٠] ما يتناسب ومضمون السورة حيث الحديث عن حقيقة الوحي والتنويه بشأنه، ويعد هذا من وسائل السبك التي تعمل على الالتحام بين أجزاء النص، فيقدم شيئا ويؤخر شيئا؛ لتتسلسل المعاني بطريقة منطقية مترابطة، يقول البقاعي: "ووقوع تكوير الشمس وانكدار النجوم، وتسيير الجبال، وتعطيل العشار كل ذلك متقدم

(١)– ينظر: النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم: محمد بن عبد الله دراز/ ٩٩، اعتنى به : أحمد مصطفى فضلية، قدم له : أ. د. عبد العظيم المطعني: دار القلم للنشر والتوزيع : طبعة مزيدة ومحققة ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م.

على فرار المرء من أخيه وأمه وأبيه – إلى ما ذكر إلى آخر السورة؛ لاتصال ما ذكر في مطلع سورة التكوير بقيام الساعة، فيصح أن يكون أمارة للأول وعلماً عليه"[1]، وبذلك تكون مناسبة افتتاح السورة ملائما مع مضمونها؛ ليحقق نوعا من الانسجام والترابط في السورة الكريمة.

المطلب الثالث:

أ/ التماسك من خلال مناسبة افتتاح السورة لخاتمة ما قبلها: هذا النوع من المناسبة له أثر كبير في التماسك النصي، وهو مبني على أن ترتيب السور توقيفي، وهو الأرجح عند العلماء، وقد تتبعه علماء المناسبة في كل سور القرآن، ولم يُعن به المفسرون في الغالب، كعنايتهم بالمناسبة بين الآيات، يقول الزركشي: "وإذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها، ثم هو يخفى تارة ويظهر أخرى"[2]، فكان من أسرار القرآن الكريم مناسبة فاتحة السورة لخاتمة التي قبلها، وتعلقها بها سواء أكان ذلك ظاهرا جليا أم كان خفيا دقيقا يحتاج إلى تأمل ونظر، وهذا من الروابط المعنوية التي تحدث تماسكا نصيا وانسجاما، ومما ذكره المفسرون عن علاقتها بخاتمة التي قبلها، وهي سورة "عبس" أنه قال تعالى في خاتمة سورة "عبس": ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمۡرِئٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٞ

(١)– نظم الدرر في تناسب الآيات والسور البقاعي، ٢٨٤/٢١، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

(٢)–البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ٣٨/١، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه .

يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ﴿٤٠﴾ تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ ﴾ [عبس٣٣-٤٢] ، وجاء في أول التكـــوير: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ﴾ [التكوير ١-٥]، نجد الكلام في خاتمة عبس ومطلع التكوير متعلق بموضوع واحد هو الحديث عن أحوال يوم القيامة وأهوالها، وعن كل ما يقع فيه من أهوال وحساب وجزاء للمؤمنين والكافرين، فختام عبس بمثابة استفهام عن ذلك اليوم العظيم من أهوال وعلامات ، ومتى يكون؟، وجاءت بداية سورة التكوير بمثابة الجواب عن أمارات ذلك اليوم بذكر اثنتي عشرة علامة، ويمكن أن يقال: إن أداة الشرط(إذا) في قوله تعالى:(فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ) ظرف لما يستقبل من الزمان، وكأن سورة التكوير صوِّرت وقت ذلك المجيء للصاخة بما فيها من أهوال، يقول البقاعي: "لما ختمت سورة عبس بوعيد الكفرة الفجرة بيوم الصاخة؛ لجحودهم بما لهذا القرآن من التذكرة، ابتدئت هذه بإتمام ذلك، فصوّر ذلك اليوم بما يكون فيه من الأمور الهائلة من عالم الملك والملكوت حتى كأنه رأي عين"[(١)]. فيعد هذا التناسب بين السور تماسكا وترابطا وانسجاما دقيقا يبرز براعة النظم القرآني.

ب/ التماسك من خلال مناسبة افتتاح السورة لخاتمتها:

العلاقة بين الافتتاح والخاتمة هو عين الاتساق النصي، فالحديث في افتتاح السورة عن أمرين: الأول: الحديث عن القيامة وما يصاحبها من انقلاب كوني هائل كامل شامل للأوضاع والأشياء، وهذا من بداية السورة إلى نهاية الآية الرابعة عشرة.

الثاني: معالجة حقيقة الوحي، وصفة النبي (ﷺ)، وشأن القوم

(١)- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٢١/٢٧٥.

المخاطبين، وهذا من بداية الآية الخامسة عشرة إلى نهاية السورة، وتؤكد الآيات صدق الرسول(ﷺ) فيما يبلغ عن ربه، وتبين أن القرآن نزل؛ ليكون هداية وذكرا لجميع العالمين حتى تقوم الساعة، وثمة علاقة قوية بين ما افتتحت به السورة من أحداث عظيمة، فالفاعل الحقيقي لها هو الله –عز وجل – نشأة وبداية ونهاية، وما يتعلق بالقيامة، أو ما يصاحبها من أحداث كل ذلك دليل على طلاقة قدرته سبحانه، والذي يملك هذه القدرة له مشيئة عظيمة؛ مما يتناسب مع خاتمة السورة مستخدما أسلوب القصر ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٩]، فحصر المشيئة في الله وحده يتلاءم مع تلك الأحداث العظيمة التي تحدث بأمر الله تعالى، مما يؤكد طلاقة القدرة، وقد أشار "البقاعي" لهذا بأن المتأمل في نظم مطلع السورة ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾، وخاتمتها(ئو ئو...) يدرك أن المتصف بالربوبية صح تصرفه في الشمس وما تبعها مما ذكر أول السورة؛ لإقامة الساعة لأجل حساب الخلائق والإنصاف بينهم بقطع كل العلائق،

كما يفعل كل ربٍّ مع من يربيه، فكيف بأحكم الحاكمين وأرحم الراحمين، فقد التقى طرفاها على أشرف الوجوه وأجلاها[1]، واكتفى السيوطي في الحديث عن ذلك بقوله: "أولها (إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ)، وآخرها ﴿فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ﴾ [التكوير:٢٦] "[2]، لعله يريد أن مطلع السورة جاء لتقرير علامات الساعة وما يقع بعده من البعث والنشور، وآخر السورة فيه الإشادة بالقرآن الكريم الذي كذَّب به المشركون؛ لأنه

(١)– ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور٨/٣٤٦.

(٢)–مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع – بحث في العلاقات بين مطالع سور القرآن وخواتيمها، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي /٧٨، قرأه وتممه: د. عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ .

أوعدهم بالبعث، فجاء قوله تعالى في سياق الإنكار عليهم ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾؛توبيخا لهم في إنكارهم القرآن الكريم وإعراضهم عنه.

كما يفهم من كلام السيوطي أن أولها (إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ)، أي إذا حدثت هذه الأشياء بجميع الأهوال، وقامت الساعة، فلا بد أن يتناسب مع آخرها ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ أي: لا مفر من وقوفكم وحسابكم على هذا الكبر والتكذيب والكفر الذي أحدثتموه.

وبهذا تكون مناسبة افتتاح السورة لخاتمتها قد أسهمت في تماسك النص وانسجامه وترابطه من خلال علاقات عدة، فقد تذكر المسألة مجملة في المقدمة وتفصل في الخاتمة؛ ومن اللطائف البلاغية التي تعتضد هذا التناسب والتماسك والتلاؤم ذكر لفظ الجلالة(الله)، ولفظ (رب) في قوله: (أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ)، فلم يذكرا إلا مرة واحدة في ختام السورة الكريمة، وقدَّم مقام الألوهية على مقام الربوبية؛ ليتناسب مع الأهوال السابقة دلالة على أنه لا يقدر على ذلك إلا واحد أحد، وثنى بمقام الربوبية مضافا إلى رب العالمين؛ للدلالة على أن صفات جماله لا تنفك عن صفات جلاله، وأن مقام الترهيب والترغيب يبرزان جدا في مثل هذه المواقف الشديدة، وكل هذا ينسجم ويتلاحم ويترابط مع مستهل السورة الكريمة، فكان اتساقا نصيا.

المطلب الرابع:

أ/ التماسك من خلال مناسبة ترتيب آيات السورة لبعضها البعض: إن رصف الآيات مع بعضها في إطار السورة جاء مبنيا على علاقات تشد وشائج الآيات؛ لتكون وحدة متماسكة، فمرجع المناسبة في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينهما عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي، أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني، كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين والضدين، ونحوه(١).

ومن أبرز العلاقات أو الوسائل التي تحقق التماسك بين الآيات ارتباط آيات السورة ببعضها – كما سيأتي–؛ مما يؤكد تضافرها في أداء المعنى القرآني للسورة كلها، وكانت من أهم مظاهر هذا الارتباط: تعلق الكلام بعضه ببعض وارتباطه بالآية التي قبلها، فتكون الثانية تأكيدا أو تفسيرا من خلال عطف الجمل على بعضها؛ فتكون وحدة متماسكة، وذكر السيوطي(ت٩١١هـ) فائدة المعنى الرابط قائلا:" جعل أجزاء الكلام بعضها أخذا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلازم الأجزاء"(٢). ومما يؤكد هذا الترابط والتماسك بين الآيات بعضها البعض ما جاء في علاقة قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾ [التكوير ١٥-١٦] بما قبلها: "أن الله سبحانه لما ذكر من أحوال يوم القيامة وأهوالها ما ذكر، وبيَّن أن الناس حينئذٍ يقفون على حقائق أعمالهم في النشأة الأولى، ويستبين لهم ما هو مقبول منها، وما هو مردود عليهم أردف ذلك ببيان أنَّ ما يحدثهم به الرسول – ﷺ – هو القرآن الذي أنزل عليه، وهو آيات بينات من الهدى، وأن ما رميتموه من المعايب

(١)– ينظر: البرهان، للزركشي١/٣٥، وينظر: الإتقان، السيوطي٢/١٠٨.

(٢)– ينظر: الإتقان، السيوطي٢/١٠٨

كقولكم: إنه ساحر، أو مجنون، أو كذاب، أو شاعر ما هو إلا محض افتراء، وأن لجاجكم في عداوته، وتألبكم عليه ما هو إلا عناد واستكبار، وأنكم في قرارة نفوسكم عالمون حقيقة أمره، ودخيلة دعوته"[(١)]، فدل هذا _ترتيب الآيات وموافقة السياق_ على الحبك والسبك وترابط الآيات ببعضها وانسجامها.

ب/ التماسك من خلال مناسبة خاتمة السورة لافتتاح ما بعدها: مما يبرز شدة التماسك المعنوي بين سور القرآن أن خاتمة سورة ترتبط من حيث موضوعها وغرضها مع السورة التي تليها، فما ذكر في آخر التكوير يتناسب مع أول سورة الانفطار، وهي أيضا من القرآن المكي: وثمة علاقة بينهما، فهناك ارتباط شديد لختام هذا المقطع ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٤] الذي يتشابه مع ختام آيات أهوال يوم القيامة في سورة الانفطار في قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار: ٥]، فهما من الآيات المتشابهات في صدرها المختلفة في آخرها، والتي وقف عندها علماء المتشابه في النظم القرآني، وتعددت آراؤهم حيال توجيه موجب الاختلاف بين الموضعين مع اتحاد المقصود في السورتين؛ إذ المعنى في الآيتين واحد، فالذي تحضره كل نفس يوم القيامة هو الذي قدمت من عملها وأخرت، فقد اتفقوا جميعا على أنه قُرِن كل شرط بجوابه الذي هو أولى به، وخصص كل جزء بما هو أنسب له تبعا لسياق آيات السورة قبلها، وقيل: إن رعاية المناسبة حتّمت مراعاة ذلك، فإن شروط سورة التكوير جاءت أهوال يوم القيامة فيها طويلة كثيرة، فحسُن حينئذ الاختصار والإيجاز في جواب

(١)–تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي١٥٥/٣١، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، ط١ ، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.

الشرط؛ ليُوقف عليه، وأما شروط سورة الانفطار، فجاءت أهوال يوم القيامة فيها قصيرة قليلة، فحسُن بسط الجواب وتفصيله بذكر التقديم والتأخير؛ ليتيسر الوقف عليه(١). وهذا كلام دقيق جدا في الإعجاز البياني وبراعة النظم القرآني.

ومما يبرز التلاؤم والتناسب والتماسك بين خاتمة السورة وافتتاح ما بعدها أنه لما كانت آية التكوير – وهي المتقدمة في ترتيب نزول القرآن– غير مفصحة بحصر أعمال الخلائق، جاءت آية الانفطار صريحة باستيفاء طرفي أعمال المكلفين المتقدم والمتأخر منها "واقتضى التناسب تقدم الإحضار حيث ذكر، وتأخير ذكر التقديم والتأخير حيث ذكر، واتصل كل بما يشاكله ويلائمه، ولا يمكن سواه، إذ التعريف بالإحضار والحصر بذكر ما قدم وما أخر مقصود معتمد ... ، فقدم ذكر إحضارها أولا؛ ليناسب به ما تقدم، وأخر ذكر إحصائها؛ ليعلم بالحصر والاستيفاء، وجاء كل على ما يناسب"(٢).ويمكن الأخذ بتلك التَّوجيهات البلاغيَّة المتنوعة التي أظهرت أثر التماسك والانسجام؛ إذ الأسرار البيانية للقرآن الكريم لا تنفد، وعجائبه لا تنقضي مع ما في ذلك من تنويع أساليب الخطاب، والتفنن في استعمال العبارات، والبراعة في عرض التراكيب؛ لدفع ثقل تكرار الألفاظ؛ ولتزيد من هول الموقف، وفظاعة الخطب باستحضار شدة ذلك المقام العظيم.

---

(١)– ينظر: فتح الرحمن شرح ما يلتبس من القرآن، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي /٣٢٤، المحقق: محمد علي الصابوني: دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣م.

(٢)–ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر ٥٠٤/٢، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، بتصرف.

المطلب الخامس:

أ/ التماسك من خلال مناسبة مضمون السورة لمضمون ما قبلها وما بعدها:

تعد العلاقة بين مضمون السورة ومضمون ما بعدها وما قبلها عاملا من عوامل التماسك في السور الثلاث، **فمقصود السور الثلاث يتحد، ففي سورة (عبس) المراد الأعظم:** تزكية القابل للخشية للتخويف بالقيامة، التي قام الدليل على القدرة عليها بابتداء الخلق من الإنسان، وبكل من الِابتداء والإِعادة لطعامه، والتعب ممن أعرض مع قيام الدليل، والإِشارة إلى أن الِاستغناء والترف أمارة الإعراض وعدم القابلية والتهيؤ للكفر والفجور، وإلى أن المصائب أمارة الطهارة والإِقبال، واستكانة القلوب، وسمو النفس بشريف الأعمال، **وفي سورة الانفطار: التحذير من الانهماك في الأعمال السيئة** اغتراراً بإحسان الرب وكرمه ونسياناً ليوم الدين، الذي يحاسب فيه على النقير والقطمير، ولا تغني فيه نفس عن نفس شيئاً، كما عبَّر الغرناطي: "هذه السورة كأنها من تمام سورة التكوير؛ لاتحاد القصد، فاتصالها بها واضح"[(١)]. **كذلك في سورة (التكوير): التهديد الشديد**، بيوم الوعيد، الذي هو محط – الرحال؛ لكونه أعظم مقام لظهور الجلال، لمن كذب بأن هذا القرآن تذكرة في صحف مكرمة، بأيدي سفرة[(٢)] ، وربط البقاعي بين تلك السور المتماسكة المترابطة المنسجمة قائلا: "**صورها في كوِّرَتْ**، تصويراً صارت به رأي عين، لو كشف الغطاء ما ازداد الموقنون بها يقيناً، **ثم بين في الانفطار** أن الأمور فيها ليست على منهاج الأمور هنا، بل الأسباب كلها منقطعة والأسباب مرتفعة، إلا سبباً

(١)– البرهان في تناسب سور القرآن، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي /٣٥٨، تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب ، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠م.

(٢)– ينظر: نظم الدرر، البقاعي ٢٧٤/٢١، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة .

يدلي إلى رسول الله –ﷺ – والكل خاضعون مخبتون خاشعون، أعظمهم في الدنيا تجبراً، أشدهم هناك صغاراً وتحسراً، ثم أتبع ذلك من يستحق هنالك النكال والسلاسل والأغلال، ثم أولاه رفعة أهل الإيمان الذين طبعهم على الإقرار بها والعرفان"[(١)].

المطلب السادس

أ/ التماسك من خلال مناسبة افتتاح السورة لخاتمة ما قبلها وافتتاح ما بعدها:

تجد مناسبة قوية وترابطا وتماسكا في افتتاح سورة الانفطار وسورة التكوير مع خاتمة السورة التي قبلهما (عبس)، فالحديث فيهما عن أهوال يوم القيامة؛ ليتصل الكلام فيهما اتصال النظير بالنظير، والشبيه بالشبيه، وكلها محكم، فليس فيها ناسخ ولا منسوخ، فافتتح سبحانه هاتان السورتان بذكر أمور تحدث حين خراب هذا العالم، وتكون مقدمة ليوم العرض والحساب والجزاء، وهو يوم القيامة، منها أمران علويان هما: انفطار السماء، وانتثار الكواكب، وأمران سفليان هما: تفجير البحار، وبعثرة القبور، ثم أبان أنه في ذلك اليوم تتجلى للنفوس أعمالها على حقيقتها...[(٢)] .

ومن ثمّ كان هذا التناسب من افتتاح السورة لافتتاح ما قبلها وما بعدها قد خلق جوا فيه وحدة موضوعية متماسكة منسجمة متآلفة مع بعضها البعض، فلما ختم الله سبحانه وتعالى سورة عبس بذكر يوم القيامة وأهوالها ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾

(١)– مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّوَرِ، ويُسَمَّى: "المَقْصِدُ الأَسْمَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى"، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي ١٢١/٣، مكتبة المعارف – الرياض ط١ ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م.

(٢) ينظر: تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي ٦٤/٣٠: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م .

ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴾

[عبس٣٤-٤٢]، افتتح هذه السورة أيضًا بذكر علاماتها وأحوالها وأهوالها، وذكر ما يكون فيه من حوادث عظام؛ ليفخم شأنه، ويبين أنه حين تقع هذه الحوادث تعلم كل نفس ما قدمت من عمل خير أو شر، ووجدت ذلك أمامها ماثلًا، ورأت ما أعدّ لها من جزاء، وتمنت إن كانت من أهل الخير أن لو كانت زادت منه، وإن كانت من أهل الشر أن لو لم تكن فعلته، واستبان لها أن الوعد الذي جاء على ألسنة الرسل كان وعيدًا صادقًا، لا تهويل فيه ولا تضليل(١)، وهذا من دقة النظم القرآني.

ب/التماسك من خلال مناسبة خاتمة السورة لخاتمة ما قبلها وما بعدها:

لم يختلف الموضوع في ختام السور الثلاث؛ الأمر الذي خلق جوا متماسكا مترابطا معجزا، فالسور الثلاث تعبر عن النهايات، كما أشار البقاعي لهذا: "فلما ذكر في سورة (عبس) عجائب الصنع في الطعام، وكان ذلك يقطف، فيعود لا سيما المرعى، فإنه يأتي عليه الخريف، فينشف ثم يتحطم من الرياح، ويتفرق في الأرض، ثم يصير تراباً، ثم يبعث الله المطر فيجمعه من الأرض بعد أن صار تراباً، ثم ينبته كما كان، وكان ذلك مثل إحياء الموتى سواء؛ فتحقق لذلك ما تقدم من أمر الإنشار بعد الإقبار"(٢)، وهذا يقتضي قوة عظيمة، فصرح به تأكيدا في ختام (التكوير) بأنه ذو قوة، وأكد القوة قائلا سبحانه: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير:٢٠]، وكانت الانفطار بمثابة الختام للسورتين، فبيَّن سبحانه أن الأمر يومئذٍ لله، ولا أمر لأحد من الخلق أصلاً، لا ظاهراً ولا باطناً، "وتصير المعارف بذلك ضرورية؛ فلذلك كان

(١) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان ١٩٠/٣١.

(٢)- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي ٢٦٨/٢١.

الانفطار والزلازل الكبار، والإحصاء لجميع الأعمال الصغار والكبار، وقد رجع آخرها كما ترى إلى أولها، والتف مفصلها بموصلها" [١]، ومن ثَمَّ ندرك أن خواتيم السور الثلاث متحدة في الموضوع؛ مما حقق تجانسا دلاليا، وتماسكا نصيا، وانسجاما عاما بين نهايات النصوص الثلاث، فترتيبها على هذا النحو في المصحف مقصود؛ لتحقيق وحدة دلالية منسجمة، ومحكمة، ومترابطة، ومتماسكة؛ حيث بدت نهايات النصوص، وكأنها لقطات تصويرية متنوعة بعدسة واحدة لحدث واحد هو يوم القيامة، وقد اختصت كل نهاية منها بجانب من هذا الحدث، وإذا كانت مهمة علم النص تتمثل في وصف العلاقات الداخلية والخارجية للأبنية النصية بمستوياتها المختلفة ، فإن كل أنواع المناسبات السابقة تشرح العلاقات الداخلية والخارجية للنصوص القرآنية المعجزة.

(١)- نظم الدرر:٢١/٣٠٩.

المبحث الثاني:(أنساق [١] الروابط اللفظية في سورة التكوير)

المطلب الأول: الربط بنسق الشرط، وأثره البلاغي في التماسك النصي

من المعلوم أن أسلوب الشرط في اللغة العربية يتكون من جملتين ترتبط كل منهما بالأخرى ارتباطا وثيقا، وتكون إحداهما شرطا في حدوث الأخرى أو سببا فيه؛ مما يحدث تلائما وتلاحما في النص، ومن ثمَّ يظهر دور جملة الشرط وأثرها البلاغي في التماسك النصي، وأسلوب الشرط من الروابط النصية المنطقية ؛ حيث تحتوي على جملتين لا تستقل إحداهما عن الأخرى معنى أو تركيبا، وإن اشتملت كل منهما على طرفي الإسناد، فالجملة الشرطية تعتمد في وجودها على جملتي الشرط والجواب جميعا، فتعد من أدوات الاقتران.

يؤكد هذا المعنى الإمام عبدالقاهر حيث يرى أن الجملة المعطوفة على جملة الشرط في نحو قوله تعالى:﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [النساء:١١٢] ، داخلة في الشرط، والشرط فيهما معا لا في واحدة دون الأخرى، وعلَّق على هذه الآية قائلا: "الشرط كما لا يخفى في مجموع الجملتين لا في كل واحدة منهما على انفراد"[٢]، وقد ورد أسلوب الشرط في اثني عشر موضعا من سورة التكوير، وتكون من:(إذا، ثم الاسم المرفوع، ثم فعل أو انفعل)، وهذا التركيب في السورة الكريمة يدل على الزمن المستقبل؛ "تنبيها على تحقق وقوع الشرط"[٣] ، ووقع أسلوب الشرط أيضا مكونا من (إذا،

---

(١)- (نسق) النون والسين والقاف أصل صحيح يدل على تتابع في الشيء، وكلام نسق: جاء على نظام واحد قد عطف بعضه على بعض، ينظر: (مقاييس اللغة: نسق).

(٢)- دلائل الإعجاز/١٧٣.

(٣)- :التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ١٤٣/٣٠، الدار التونسية للنشر – تونس.

وصيغة المبني للمجهول أو المطاوعة.

قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ۝٣ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ۝٤ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ۝٥ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ۝٧ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ۝١١ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ۝١٢ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ﴾ [التكوير ١-١٣]، وردت هذه الجمل متعاطفة بالواو في مطلع السورة الكريمة وتكرر في كل جملة بعدها مما خلق اتساقا بين الجمل وهذا من الاتساق التركيبي والدلالي ، فربط بالأداة (الواو) مع تكرار (إذا)، وليس لها إلا جواب واحد هو قوله تعالى: ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ﴾ [التكوير: ١٤] ؛ إشارة إلى أن استخدام أدوات الربط بين الجمل بعضها البعض تبرز أثر التماسك النصي بدقة عجيبة، فأثار في المتلقي هذا التشويق المستنبط من أسلوب الشرط؛ لأن (إذا) ظرف يبتدئ متعلقا، وتكمن بلاغة الشرط بـ(إذا) داخل السورة الكريمة في كونها نقطة ارتكاز –حيث أدت وظيفتها –، فحينما تلغى (إذا) لم تؤد الجملة غرضها والمقصود منها؛ لأنها سوف تكون مجرد إخبار عن شيء قد مضى، ومن ثَمَّ لم يؤد المعنى المراد، ومن وظائفها المعنوية أيضا (الوظيفة الاحتجاجية) التي تنقل السامع من الاحتجاج بما يألفه من محسوسات ومشاهد يومية متجلية إلى مشاهد غيبية، وذلك بالبرهنة والإقناع مع استيفاء الأحداث فضلا عن كونها تفيد المباغتة، والتشويق، والتهويل، وعند إنعام النظر في افتتاح السورة بأسلوب الشرط، نجد الأثر البلاغي لأنظمة الربط بطريقة واضحة؛ حيث كانت سببا رئيسا في إبراز الاتساق النصي(استمرارية النص)؛ فتبدو المعاني المعطوفة مع الشرط لهذه الصور التي ترمز إليها كل وحدة من وحدات الشرط وأشباهه ونظائره، كأنها واقعة – الآن بالفعل –، وكم من المشاهد تجددت أمامنا كل مشهد غريب في هيئته وصورته رهيب في حدوثه وظهوره، يعلو ويسفل مرة في السماء، وأخرى على الأرض، فهي رحلة طويلة شاقة تقطعها النفس حتى تقف على حقيقة

المرحلة والغاية التي من أجلها شُدَّت الرِّحال، فقال سبحانه: (ڈ ڈ ڈ ڈ) [التكوير:١٤] ، "فالافتتاح بـ (إذا) افتتاح مشوق؛ لأن (إذا) ظرف يستدعي متعلقا؛ ولأنه أيضا شرط يؤذن بذكر جواب بعده، فإذا سمعه السامع ترقب ما سيأتي بعده، فعند ما يسمعه يتمكن من نفسه كمال تمكن، وخاصة بالإطناب بتكرير كلمة (إذا)، وتعدد الجمل التي أضيف إليها اثنتي عشرة مرة، فإعادة كلمة إذا بعد واو العطف في هذه الجمل المتعاطفة إطناب، وهذا الإطناب اقتضاه قصد التهويل، والتهويل من مقتضيات الإطناب والتكرير"[(١)]، وهذا أيضا مظهر من مظاهر الاتساق والانسجام المتمثل في عنصر (التكرار)، وكأن أداة الشرط عنقود بني عليها النص، لتوضيح قضية كبرى داخله، فهي بمثابة مفتاح يربط اللفظ بالمعنى، وهذا التكرار يربط الوحدات النصية الكبرى بالوحدات النصية الصغرى؛ فخلق انسجاما وتوافقا وأساسا مشتركا بينها، ويُحكم العلاقات بين أجزاء النص؛ وخاصة من خلال عنصر من أهم عناصر التماسك النصي وهو (التكرار)، وهو من أشكال التماسك المعجمي، وهو من أنظمة الربط الأساسية، فظهر أثره البلاغي؛ إشارة إلى أن مضمون كل جملة من هذه الجمل مستقل بحصول مضمون جملة الجواب.

ويبين الدكتو ر"عبدالعظيم المطعني" أهمية هذا النظام الذي يعد باكورة أنظمة الربط في السورة الكريمة، والذي أظهر بوضوح شدة الاتساق والانسجام بين أجزاء النص، وفحوى كلامه: "أن القيمة البيانية لهذا المطلع الشرطي التي من أجلها – والله أعلم – آثر القرآن افتتاح هذه السور بها هي أن الأسلوب الشرطي يمتاز بربطه بين أجزاء الكلام ربطاً ملاحَظاً فيه ترتب السبب على السبب، فإذا ذُكِرت أداة الشرط، وأُردفت بفعل الشرط تشوقت النفس إلى ذكر ما

(١)– التحرير والتنوير، ٣٠/١٤٠.

سيكون، فإذا ذكِر الجواب بعد هذه الإثارة وهذا التشويق تمكَّن أيما تمكُّن"[١] ، ومن هنا كان للعطف بالشرط عمل رئيس في التماسك الجزئي(الجُمل)، والكلي(الفقرات) داخل النص حيث أدوات العطف التي تسهم في تشكيل دلالة النص، ومن ثمَّ تسهم في بلورة بنيته الدلالية الكبرى، وذلك بما تبدعه من دلالات في إطار السياق النصي، فأدوات العطف ليست مجرد روابط شكلية إنما هي بنية لفظية ذات دلالة تتفاعل مع النص الذي ترد فيه؛ لتشكل دلالته الكلية، فالعطف في لغة النص ذو وظيفة إبداعية تشكل معنى كليا متمخضا من تفاعل عناصر البنية اللغوية الممتدة للنص[٢].

والذي يزيد من هذه القيمة البيانية لأسلوب الشرط في القرآن الكريم أمران:

الأول: أن القرآن في غالب الفواتح من هذا النوع لا يكتفى بفعل شرط واحد –كما هو الحال في غيره –بل يقرن به أشباهاً ونظائر يطول تأمل السامع فيها، وتضاعف من تشوقه إلى الجواب كلما انتقل من جزء إلى جزء، فيأتيه الجواب بعد تلهف وطول ترقب.

الثاني: أن أجزاء الأسلوب الشرطي في القرآن ليست من جنس ما يستعمله الناس من أمور عادية قد لا يهتم بها إنسان، أو ليس للوقوف عنده على مدلولاتها كبير معنى، أو ربما تنبأ–سَلفاً–بما سيكون عليه الحال فلا يفيد منها فائدة جديدة، وليس الحال كذلك في القرآن، بل فيه–فوق دقة النظم وجمال التركيب –غرابة وجزالة [٣].

(١)– ينظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني ٢٠٩/١، مكتبة وهبة، ط١، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢م.

(٢)– ينظر: مسالك العطف بين الإنشاء والخبر، محمود توفيق سعد/٥٨، ط١، مطبعة الأمانة بالقاهرة ١٩٩٣م.

(٣)– ينظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، المطعني٢٠٩/١ .

ومما يبرز هذا التماسك والتلاحم بين أجزاء النص هذه المركبات الفعلية، ومن الملاحظ أن صيغة الفعل الماضي في هذه الجمل تفيد معنى الاستقبال؛ لكونها وقعت شروطا لـ (إذا)، وأنها استعملت بهذه الصيغة؛ لإرادة التنبيه على تحقق وقوع الشرط، وهو الغالب في أسلوب القرآن الكريم، وهذا من بلاغة النظم القرآني، فعند تأمل دقة التعبير بالماضي هنا نجد من الفخامة والعظمة على علو شأن المخبر ما نجد، فالله عالم الغيب والشهادة الذي يملك الزمان والمكان، والذي يحق له أن يعبر عن الاستقبال بالماضي، فيعلم ما كان، وما لم يكن لو كان كيف يكون، واستخدام مثل هذا النمط الأسلوبي إنما يكون في المقامات العظيمة، كالإخبار عما سيقع في يوم القيامة، فهي وإن كانت مستقبلية بمنزلة الكائنة الموجودة، يقول ابن الأثير : "أما الإخبار بالفعل الماضي عن المستقبل، فهو عكس ما تقدم ذكره، وفائدته أن الفعل الماضي إذا أخبر به عن الفعل المستقبل الذي لم يوجد بعد كان ذلك أبلغ، وأوكد في تحقيق الفعل وإيجاده؛ لأن الفعل الماضي يعطي من المعنى أنه قد كان ووجد، وإنما يفعل ذلك إذا كان الفعل المستقبل من الأشياء العظيمة التي يستعظم وجودها"[(١)].

وقد يكون التعبير بالماضي عن المضارع استعارة تبعية في زمن الفعل لا في حدوثه تقوم على تشبيه المستقبل بالماضي في تحقق الوقوع، وقد يكون التعبير بالمضي عن الأحداث المستقبلية جاءت على الحقيقة وليس فيها مجاز؛ وعلة ذلك أن ما أخبر الله به عن وقوعه مستقبلا هو في حكم الواقع أو الذي وقع فعلا، وقد ذكر في هذه الآيات اثني عشر حدثا، ستة منها تحصل في آخر الحياة الدنيا، وستة منها تحصل في الآخرة، وكلها أحداث معطوفة لتوليد المعاني

(١)– المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد ١٤٩/٢، المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة.

المترابطة المتماسكة قامت به أداة الربط (الواو العاطفة).

فكان للعطف مع الشرط أثره في التماسك والتلاحم بين الجمل المترتبة بعضها على بعض ، وفي هذا المعنى أشار الدكتور "صلاح فضل" قائلا: "إن نموذج العطف النحوي بين مجموعة من العناصر الحسية المتباعدة في حقولها الدلالية، يقوم بتوليد مستوى تجريدي غائر، هو القادر على تبرير الوصل في البنية العميقة للجملة "[(١)]؛ مما يدل دلالة واضحة على أهمية الوسائل التي تؤكد على أن النحو العربي قائم على علاقة الإسناد، وعلاقة العمل والتأثير، ومن ثمَّ جاء الارتباط حيث لا يمكن أن يستغني المسند عن المسند إليه، وكذلك العامل لا يستغنى عن المعمول غير أن هذه العلاقات التي ذكرها النحويون خاصة بالجملة فقط.

ويظهر هذا بطريقة واضحة عندما آثر النظم القرآني العطف بالواو؛ لأنها ليست رابطا شكليا يجمع أشتاتا لا علاقة بينها، وإنما لها أثر كبير في ضرورة تلاحم الجمل دلاليا وبلاغيا إذا جمعت بينها الواو، فلا بد من علاقة بين الذوات والأحداث في الجمل حتى يصح الربط، كما أنه لا بد من استقامة البنية الدلالية للجمل المتتالية والمترابطة بالواو وإلا امتنع وجود الواو، فلا بد من جهة جامعة تجمع بين الجملتين المتعاطفتين ،كما أشار الإمام "عبدالقاهر"– وهذا عين التماسك النصي– "وجملة الأمر أنها لا تجيء حتى يكون المعنى في هذه الجملة لفقا للمعنى في الأخرى ومضاما له"[(٢)]. ومن ثمَّ كانت العلاقة بين هذه المركبات الفعلية تلازمية فضلا عن المتممات لجملة الإسناد.

ومن هنا يمكن القول: إن أدوات الشرط تقوم بالوصل السببي الذي يعلق

(١)– أساليب الشعرية المعاصرة، صلاح فضل/١٦١، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة١٩٩٨م.

(٢)– دلائل الإعجاز/٢٢٥.

الجواب على سبب الشرط تعليقا يُراد منه الدلالة على وقوع الجواب بوقوع الشرط، ومن خلال تحكم هذه الأدوات في ترتيب أجزاء النص، وتوجيه معانيه يتجلى التماسك النصي من خلال تنظيم مضمون النص تنظيما دلاليا منطقيا، فتتسلسل المعاني والمفاهيم كما هو واضح جلي في النظم القرآني على نحو متماسك ومترابط، كما أدى العطف دوره؛ حيث الربط بين الجمل على مستوى النص يسهم في تقوية الأسباب التي تجعل عناصر النص متماسكة معبرة عن فكرة واحدة تشمل المعاني التي تحتويها هذه الجمل، كما أنها تجسد علاقة دلالية بين الجمل من ترتيب، أو تعقيب، أو سببية، أو اشتراك، أو جمع، وهذه العلاقة تسهم في استمرارية النص وفهم أحداثه، فيكون الحاصل نصا متماسكا، فعند التأمل في جواب الشرط نجد التماسك النصي يتضح من خلال هذا العنصر (التكرار بأدة الشرط)، فكان الجواب بمثابة بيان واضح أنه حين تقع هذه الحوادث الجليلة الرهيبة الغريبة ستدرك كل نفس ما عملته وقدمته لنفسها من الخير أو الشر، وسترى الجزاء بنفسها ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٤].

المطلب الثاني: <u>الربط بنسق القسم وأثره في التماسك النصي</u>:

ورد القسم في السورة الكريمة تمهيدا للنفوس البشرية للحديث عن حقيقة إيمانية كبرى تتعلق بالقرآن الكريم وكونه وحيا من عند الله تعالى؛ ولأن فاء التفريع بمثابة وصلة أو أداة انتقال بين أمرين بينهما ارتباط ما اقترن القسم بها هنا ؛ حيث أدت دورها في خلق جوٍ متماسكٍ للنص، وتلاحمٍ شديدٍ بين القسم والمقسم به، وذلك ؛"لتفريع القسم وجوابه على الكلام السابق؛ للإشارة إلى ما تقدم من الكلام، فهو بمنزلة التمهيد لما بعد الفاء؛ لأن الكلام السابق أفاد تحقيق وقوع البعث والجزاء، وهم قد أنكروه وكذبوا القرآن الذي أنذرهم به، فلما قضي حق الإنذار به، وذكر أشراطه فرَّع عنه تصديق القرآن الذي أنذرهم به، وأنه موحى به من عند الله، فالتفريع هنا تفريع معنى وتفريع ذكر معا، وقد جاء تفريع القسم

لمجرد تفريع ذكر كلام على كلام آخر "[1]، فكان للقسم دور بارز، وعلاقة قوية في قوة السبك بين الجمل، وهذا محور هام من محاور التماسك التركيبي داخل النص ، وورد القسم في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ﴾[2] [التكوير:١٥]، وقوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾ [التكوير:١٧]،وقوله:﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير:١٨]، ففي الآية الأولى :أقسم الله بالنجوم؛ لعظمتها، وهي من المدركات الحسية تمثل نظام الكون ومداراته المنظمة من غير تصادم فيما بينها، وهذا من احتجاج الخالق على البشر في بديع صنعه وقدرته؛ فكان انسجاما واضحا داخل النص للمتلقين؛ لينقل المخاطب بعد ذلك إلى الغيبيات التي لا تدرك بالحس، والاستدراج بالخصم أي: الاعتراف بما يجيء، فكان الربط هنا بنسق لفظي هو القسم المكون من (لا، وفعل القسم)، وقد ذكرت "بنت الشاطئ" أن القرآن الكريم لا يستعمل القسم مسندا إلى الله إلا من (لا) النافية باستقراء كل آيات القسم في القرآن الكريم؛ مما يؤذن بأنه سبحانه ليس به حاجة إلى القسم[3]، وفسرها بعض المفسرين، أو المهتمين بالقسم في القرآن الكريم أن (لا) السابقة للفعل (أقسم) بمعنى أقسم[4]، ومن ثمَّ نجد العلاقة بين هذه التراكيب أدت إلى تحقيق تماسك شديد، وترابط على النحو الملحوظ بين أجزاء النص لقضية التصديق بالقرآن، وأنه وحي من عند الله.

(١)– التحرير والتنوير ١٥٢/٣٠.

(٢)–أي: بالكواكب التي تخنس بالنهار، وقيل: الخنّس هي: زحل والمشتري والمرّيخ؛ لأنها تخنس في مجراها، أي: ترجع، وأَخْنَسْتُ عنه حَقَّه: أخّرته (المفردات:٣٠٠).

(٣)– ينظر: التفسير البياني، عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ ٢٥/١ ، ط٧، دار المعارف – القاهرة.

(٤)– ينظر: السور المكية دراسة بلاغية وأسلوبية، عروة خليل إبراهيم الدباغ /٣١٨ جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد العلوم الإنسانية ١٩٩٧م.

ثم انتقل إلى نمط آخر من أنماط الربط بالقسم في الآيتين التاليتين في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾ [التكوير:١٧]، وقوله: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير:١٨]، ولم يكن القسم مجردا، وإنما أخذ وظيفة الشرط كله فضلا عن وظائفه الخاصة به، ففي هذا وما أشبهه قسم ووصف به؛ ليكون الاستدلال أعظم في النفس، ثم إن من مزايا القسم أنه يسهل الجمع بين عدة مشاهد في جملة واحدة(سبك وحبك)، أو في جمل متلاحقة؛ مما أدى إلى السبك بين الجمل والانسجام لدى المتلقي، وهذا من براعة التصوير ودقة النظم القرآني، فقد أدى القسم وظيفته في إبراز التماسك النصي حيث "تقديم لتوثيق الصدق قبل ذكر الدعوى؛ لأنه يقرع أذني المخاطب، فيصغى ويترقب ما بعده، ثم يجئ بالدعوى، فيسهل قيادة لها"(١)، وهذا من الاتساق النصي بين الفقرات داخل النص، وتلك نظرة كلية ربطت النص بجمل الشرط السابقة، وجمل القسم الثلاث، وهو ما يسمى بـ (التعالق الدلالى) عند النصيين، والقسم من أهم عناصر التأكيد والتقوية، وهو في مجمله يهدف لتحقيق غرضين هما: الأول: تأكيد الخبر (المقسم عليه)، وتقريره في نفوس المخاطبين، وإزالة الشك من نفوسهم ومواجهة إنكارهم. الثاني: تنبيه المخاطبين إلى شرف المقسم به، وتعريفهم بماله من ضروب النفع والفائدة.

وواضح من سياق الآيات أن القسم فيها موجه للمنكرين المعاندين من كفار مكة الذين اتهموا الرسول بالسحر والجنون، فناسب الأمر أن يأتي بكل هذه الأقسام؛ ليزداد المقسم عليه توكيدا وتحقيقا وتثبيتا، والمتأمل في الربط بنسق القسم يلحظ ثمة علاقة وتناسب في اختيار المقسم به؛ لما له من علاقات وارتباط بالمقسم عليه، حيث تلك الإحالة المقامية(الخارجية)، فهي تحيل إلى المعاني

(١)– المشاهد في القرآن الكريم دراسة تحليلية وصفية، د/ حامد صادق قنيني /٤٥١، مكتبة المنار، الأردن٢٠١٠ ط١ ١٩٨٤م.

المختارة لأسلوب القسم (عسعس، تنفس)وهذا من دقة النظم القرآني وتماسكه وترابطه وانسجامه، وتناسبه للمتلقي المنكر من كفار قريش، وأشار الدكتور/محمد سعيد البوطي لذلك قائلا: "واقرأ قوله تعالى:﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾، تجد الإعجاز في اختيار الألفاظ لمواضعها، ونهوض هذه الألفاظ برسم الصورة على اختلافها، ألا تشعر أن الكلمة تبعث في خيالك صورة المعنى محسوسا مجسما دون حاجة للرجوع إلى المعاجم؟ وهل تستطيع أن تصور انفلات الضحى من مخبأ الليل وسجنه بكلمة أروع من (تنفس)؟، بل هل تجد في معاجم اللغة أدق من هاتين الكلمتين في التعبير عن هذين المعنيين؟"(١)، فاختيار الألفاظ بعضها من بعض يوجب التئام الكلام وتماسكه وارتباط بعضه ببعض، فمجيء المقسم عليه (القرآن الكريم) عقب القسم بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾، فيه تناسب شديد وتماسك كبير، وهذا نمط بياني بالغ الدقة، فكأن القرآن في هدايته للناس كالصبح في إشراقه وبث الحياة في الكائنات بعد سكون وظلام.

وهذا الملحظ البياني بيان لارتباط المقسم به بالمقسم عليه، لحظته–أيضا– "بنت الشاطئ" حين تناولت ظاهرة أسلوب الإقسام بالليل في القرآن الكريم متجاوزة رأي العلماء السائد من أن الإقسام بالواو يحمل معنى التعظيم للمقسم به؛ فكل شيء من مخلوقات الله تعالى خُلِقَ لحكمة ظاهرة أو خفية تقول: "والذي اطمئن إليه بعد طول تدبر وتأمل في السور المستهلة بهذه الواو، هو أن القسم بها يمكن أن يكون– والله أعلم– قد خرج عن أصل الوضع اللغوي في القسم للتعظيم إلى معنى بياني على نحو ما تخرج أساليب الأمر والنهي والاستفهام

(١)– من روائع القرآن – تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، محّمد سَعيد رَمضان البوطي/١٤٢، مؤسسة الرسالة – بيروت : ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

عن أصل معناها الذي وضعت له؛ لملحظ بلاغي، فالواو في هذا الأسلوب تلفت لفتاً قوياً إلى حسيات مدركة ليست موضع غرابة أو جدل توطئة إيضاحية؛ لبيان معنويات أو غيبيات لا تدرك بالحس، فالقسم بالواو، في مثل: (ﭽ) [الضُّحى:١]، غالباً أسلوب بلاغي لبيان المعاني بالمدركات الحسية وما يلمح فيه من الإعظام إنما يقصد به إلى قوة اللفت، واختيار المقسم به تراعى فيه الصفة التي تناسب الموقف، وحين نتتبع أقسام القرآن في مثل آية الضحى، نجدها تأتي لافته إلى صورة مادية مدركة وواقع مشهود، توطئة بيانية لصورة أخرى معنوية مماثلة، غير مشهودة ولا مدركة يماري فيها من يماري، فالقرآن الكريم في قسمه بالصبح إذا أسفر، وإذا تنفس، والنهار إذا تجلى، والليل إذا عسعس، وإذا يغشى، وإذا أدبر، يحلو معاني من الهدى والحق، أو الضلال والباطل، بماديات من النور والظلمة، وهذا البيان المعنوي بالحسي، هو الذي يمكن أن نعرضه على أقسام القرآن بالواو، فتقبلها دون تكلف أو قسر في التأويل"[(١)]، وهذا من دقة النظم القرآني وروعة بيانه وإعجازه.

والمتأمل في جواب القسم يلحظ اشتمال جملته (﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ [الحاقة:٤٠]على أنظمة الربط والسبك، وعناصر تأكيد في نظمها محققة للمضمون المراد إثباته، فقد افتتحت بحرف التأكيد (إنَّ) الذي ربط الكلام بما قبله ربطا قويا، فأغنى عن الحرف العاطف، وزاد من قوة الإسناد في الجملة، والتأكيد من الروابط النصية المنطقية التي تحدث تماسكا وترابطا وانسجاما لدى المتلقي، فأكَّد نسبة هذا القول إلى الرسول، وجعله في منزلة تكرير المسند إليه والمسند مرتين مع إدخال اللام المزحلقة إلى خبرها إضافة إلى (الجملة الاسمية) الدالة على تحقق وديمومة صدق ما جاء به الرسول، وثبوت أن القرآن منزل من

(١)– التفسير البياني للقرآن الكريم، بنت الشاطئ ٢٦/١.

عند الله –عز وجل– ، وتأمل هذا الضمير في جملة الجواب ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ [الحاقة:٤٠])، فتلك الإحالة البعدية تجعل الجملة مترابطة مع بعضها بخلق مرجعية واحدة تدور حولها دلالة وتركيبا؛ مما يوحي بأهمية شأن الأمر المؤكد وعظيم الاهتمام به، كما أن الأسلوب من شأنه أن يتلاءم مع حال كفار قريش في موقفهم من إنكار القرآن الكريم وشدة تكذيب نزوله من عند الله سبحانه وتعالى، فقد اقتضت حالهم كل هذه المؤكدات اللفظية؛ لاقتلاع ما وقر في قلوبهم من كذب واختلاق وافتراء على رسول الله ﷺ، ومن ثمَّ كان التماسك النصي من أهم الأشكال في إيصال الأفكار، والنظم القرآني هو الغاية لكل مريد في هذا، فمن أهم عوامل النظم في الجملة القرآنية: جمال الألفاظ مع المحافظة على المعنى وخدمته وتناسب الكلمات المتجاورة والابتعاد عن التكرير الذي لا يقدم معنى مفيد يعبر عن قصد القرآن، ثم الجمال الصوتي في الفواصل وما يحققه من دلالة معنوية فضلا عن الدقة في اختيار الكلمات من حيث دلالات موادها[١].ومن ثمَّ يعد القسم من أنظمة الربط التي لها أثر كبير في إبراز التماسك النصي ضمن وجود روابط تركيبية مهمة، وروابط لفظية، فالقسم بالواو ظاهرة أسلوبية عدل فيها البيان القرآني بالقسم عن أصل استعماله الأول للتعظيم، لملحظ بلاغي هو اللفت بالواو إلى واقع حسي مدرك لا مجال للمهاراة فيه، توطئة للإقناع بما هو موضع جدل أو ارتياب، من الغيبيات غير المدركة[٢].

(١)– ينظر: النظم القرآني في كتاب الزمخشري للدكتور درويش الجندي/٢٩–٣٢، القاهرة، دار ومكتبة نهضة مصر.

(٢) – ينظر: التفسير البياني للقرآن الكريم ١٣٤/٢.

المطلب الثالث: الربط بنسق النفي وأثره في التماسك النصي

يعد النفي من أنظمة الربط التي تسهم في تحقيق الترابط النصي على المستوى المفرداتي؛ حيث يجعل المفردات أكثر ترابطا؛ لما يقوم به من نفي حكم ما يتعلق بسياق النص، ويتعلق بموضوع السورة وأهم القضايا التي تضمنتها السورة الكريمة؛ فيجعل الكلمات آخذة برقاب بعضها البعض دون الخروج عن دائرتها الرئيسية لها، ويمكن تقسيم الجملة المنفية في السورة الكريمة إلى قسمين:

الأول: نفي مؤكد بحرف جر زائد–كما يسميه النحويون–وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير:٢٢]، (أداة النفي+ اسم+ حرف جر زائد+ خبر)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير:٢٤]، (أداة النفي+ اسم+ حرف جر زائد+ خبر).

الثاني: نفي مؤكد بحرف وتقديم الظرف على الخبر، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾ [التكوير:٢٥] (أداة النفي+ اسم+ الظرف+ حرف جر زائد+ الخبر)، وقُدم الظرف في هذه الآية اعتناء بالمتقدم (الغيب)؛ لاهتمام المخاطب بالغيب وشكه فيه، فيؤكد الله تعالى أن الرسول –ﷺ– أمين على الغيب الذي يحدثكم فيه ولظنهم أن لكل شاعر شيطانا يأتيه بالقول الفريد، وأن لكل كاهن شيطانا يأتيه بالغيب البعيد؛ لذا جاء هذا المقطع من هذه السورة؛ لينفي كل ما تقوَّله عليه بصيغة النفي الإنكاري المؤكد وبحجج دامغة، وهو قوله تعالى :(صَاحِبُكُم)؛ لأن الصاحب هو المعروف عندهم، فما عرفوا عنه إلا الصدق واليقين، هذه المركبات والمتممات في الجملة الإسنادية المنفية أدت المعنى المراد حيث جعلت النص متماسكا ومنسجما فضلا عن جودة السبك ودقة النظم.

وهناك نمط آخر من أنظمة الربط بالنفي في السورة الكريمة، وهو استعمال أداة النفي (إن) مع إلا: وورد ذلك في موضعين من السورة الكريمة:

الأول: قوله تعالى: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٧] ، الثاني: قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٩]، فجاء بأسلوب القصر، وطريقه النفي والاستثناء ؛ وأفاد قصر القرآن على صيغة الذكر، ويقصد به إبطال أن يكون قول شاعر أو كاهن، أو قول مجنون، وكذلك ينفي كونه قول شيطان رجيم، وتخصيص القرآن على الذكر دون غير ذلك من الأقاويل التي تقوَّلوها على القرآن، ويمكن ملاحظة ذلك من اختلاف المعنى بين قوله تعالى: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٧]،وقولنا:(هو ذكر للعالمين)، فالمعنيان يدلان على أنه ذكر للعالمين، ولكن معنى الآية يفيد قصر القرآن على الذكر دون الصفات الأخرى، وقولنا (هو ذكر للعالمين) ليس فيه قصر، فيحتمل أن تكون هناك صفات أخرى غير الذكر؛ لذلك أكد القرآن الكريم بهذا الأسلوب البلاغي(القصر) على أن القرآن هو ذكر للعالمين، وليس ما تصفونه من الصفات الأخرى التي ذكرها القرآن ونفاها عنه.

وأما قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٩]، نجد النظم القرآني استخدم أداة النفي (ما) مع (إلا)؛ إذ قصر المشيئة على الحق سبحانه وتعالى، وإن استقامتهم لا تتحقق إلا بإرادته هو، فالحق سبحانه وتعالى يشاء بالفعل ثم يشاء العبد؛ لأن المفعول به للفعل(تشاؤون) محذوف، تقديره: (مشيئتكم) وليس تقديره مشيئة فعل العبد، أي يشاء الله مشيئتكم المطلقة بغض النظر عن نوعها، ثم بها تشاؤون ما تختارونه من الأفعال، ونسق الآية يدلل على أن مشيئة العبد المطلقة لا تحصل لإنسان إلا بعد أن يشاءها الله سبحانه وتعالى، ومن ثمَّ يشاء بها أي فعل يختاره[1]، وفي الآية الكريمة ارتباط شديد،

(١)- ينظر: أفعال العباد بين الجبر والاختيار، د/ عبدالملك السعدي/٤٣، ط١، دار النور المبين للدراسات والنشر، الأردن.

وإشارة صريحة إلى أن مشيئة العبد رهن بمشيئة الله؛ فهي تكشف عن سر ارتباط مشيئة العبد بمشيئة الخالق –عز وجل–، ويكمن السر في علم الله المطلق، وحكمته البالغة في تصريف أمور عباده وسائر مخلوقاته.

ومن هنا لا تخفى جمالية هذا اللون الأسلوبي من أنظمة الربط (النفي) ودوره في تماسك النص القرآني فضلا عن طريقة الاختصار؛ إذ تستخدم أقل العبارات لتوضيح المقصود، وفي هذا إحكام للنظم، وهذه هي غاية البلاغة المتمثلة في استثمار أقل ما يمكن من الألفاظ في أكثر ما يمكن من المعاني، ومن ثمَّ ظهر جليا دور النفي في تحقيق التماسك والترابط النصي، حيث يتلاحم النفي، وينسجم مع موضوع ومقصود السورة الأساسي.

المطلب الرابع: الربط بنسق الاستفهام وأثره في التماسك النصي:

يعد الاستفهام من أبرز أنظمة الربط بصفة عامة، وفي السورة الكريمة بصفة خاصة، وورد فيها في سياقين:

السياق الأول: في حق الطفلة التي كانت تدفن حية في التراب في الجاهلية تُسأل بحضرة وائدها عن الذنب الذي قُتلت لأجله، في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾[التكوير ٨–٩]، حيث وُجه الاستفهام هنا للموؤدة؛ وجعل سؤالها عن تعيين ذنب أوجب قتلها؛ وذلك لإدخال الروع على من وأدها؛ وللتعريض والتوبيخ والتخطئة للذي وأدها؛ وليكون جوابها شهادة على من وأدها، فيكون استحقاقه العقاب أشد وأظهر.

والاستفهام بدوره أدى وظيفته في تحقيق التماسك النصي؛ فالسؤال يحتاج لجوابٍ، وهذا من التلاحم الشديد بين السؤال والجواب _كما هو معلوم _ وشدة التعالق بينهما وترابطهما من الأشياء التي توظف الاتساق النصي، ولما لم يكن هناك جواب كان الاستفهام من مستتبعات التراكيب، فأفاد التهديد والوعيد من خلال توجيه السؤال في ذلك الموقف، وأفاد أيضا التعريض بالقاتل، كذلك يفيد

الاحتجاج، وذلك عند سؤال الموؤدة عن تعيين الذنب، وجوابها شهادة على وأدها، كذلك تهويل الموقف عند السؤال عنها في ذلك الموقف المرعب؛ لأن هذا السؤال في الوقت الذي تعلم عنده كل نفس ما أحضرت، وهو من أول ما يعلم به حين الجزاء، فالاستفهام ليس على حقيقته، والله سبحانه أعلم بهذا السبب، وتوجيه السؤال لها فيه إثارة للإشفاق والرحمة بهذه الضعيفة؛ وفيه أيضا توبيخ لقاتلها وتشنيع لصنيعه، وتفظيع لهذا الأمر، وإنما سُميت (موؤدة)؛ للثقل الذي يُلقى عليها من التراب، والله_جل جلاله_ أخبر في هذه الآية أنه يُوبَّخ قاتلها بسؤالها عن السبب الذي لأجله قُتلت، والسر البلاغي لتوجيه السؤال والاستفهام إلى غير المقصود سؤاله؛ ليكون جوابها أشدّ وقعا على الوائد،_ وهذا من قوة السبك والحبك والانسجام بين القائل والمتلقي، ومن دقة النظم القرآني_ فإنها ستُجيب أنها قُتلت بلا ذنب جنته أو جُرم ارتكبته؛ ليحصل كمال التوبيخ والتعنيف للمقصود الحقيقي بالسؤال وهو القاتل، وإدخال الغم على قلبه؛ ولإظهار كمال الغيظ عليه والغضب منه، قال الزمخشري: "فإن قلت: ما معنى سؤال الموؤدة عن ذنبها التي قتلت به؟ وهلا سُئل الوائد عن موجب قتلها لها؟ قلت: سؤالها وجوابها تبكيت لقاتلها"(١)، وأضاف الشوكاني: "وتوجيه السؤال إليها؛ لإظهار كمال الغيظ على قاتلها حتى كان لا يستحق أن يُخاطب ويُسأل عن ذلك"(٢)، وإذا كانت الموؤدة في الدنيا لا عقل لها ولا فهم، فإنه غير ممتنع توجيه الخطاب لها في الآخرة؛ "لأن الخطاب وإن عُلِّق عليها وتوجه لها، فالغرضُ في الحقيقة

(١)–الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله ٢٢٣/٤، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣ – ١٤٠٧ هـ، وينظر: معاني القرآن للزجاج٥/٢٩٠.

(٢)– فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني ٣٨٩/٥ : دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ.

غيرها، وهو تبكيت الظالم لا خطاب الطفلة الرضيعة، ويحتمل أنهن "عند دخول الجنان تكون على أكمل الهيئات وأفضل الحوال، وإن عقولها تكون كاملة، فعلى هذا يحسن توجه الخطاب إلى الموؤدة؛ لأنها تكون في تلك الحال ممن تفهم الخطاب وتعقله"(١)، وحكم الشريف الرضي بأن سؤالها هنا: "استعارة، والمراد– والله أعلم–أنها سُئلت لا لاستخراج الجواب منها، ولكن لاستخراج الجواب من قاتلها، ويكون ذلك على جهة التوبيخ للقاتل إذ قتل من لا يُعرب عن نفسه، ولم يُذنب ذنبا يُؤخذ بجريرته"(٢).

ومما يبرز أثر التماسك النصي في الربط بنسق الاستفهام أن المعنى لو جاء بغير هذا النسق لما تم فهم مراد النص كما فهم بهذا النسق من الربط الذي أدى دوره ببراعة وبيان ودقة،_ وهو من الإعجاز القرآني _ حيث يسمي "الطيبي" هذه الطريقة من طرائق الاستفهام بـ (الاستدراج)، "فالمجني عليه إذا سئل بمحضر الجاني ونُسبت له الجناية دون الجاني، بعث ذلك الجاني على التفكر في حاله وحال المجني عليه، فيرى براءة ساحته، وأنه هو المستحق للعقاب والعذاب، وهذا استدراج على طريق التعريض، وهو أبلغ من التصريح"(٣)، فهذا تعريض بالوائدين الذين قتلوا بناتهم بلا موجب لقتلهن.

السياق الثاني: في حق الذين انحرفوا عن صراط الله المستقيم، في قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ [التكوير:٢٦]، وهو استفهام ليس على حقيقته، بل هو من

(١)– أمالي المرتضي (غرر الفوائد ودرر القلائد)، الشريف المرتضي علي بن الحسن الموسوي العلوي٢/٢٤١، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العلمية ١٩٥٤م.

(٢)– تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضي، محمد بن الحسن/٣٥٩، بغداد ، المكتبة العلمية.

(٣)– حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي٧/٤٢٥، دار صادر – بيروت.

مستتبعات التراكيب – كما في الاستفهام الأول–، وغرضه هنا: التنبيه على ضلال المخاطبين[١]؛ لتبكيتهم وتوبيخهم على عنادهم واستكبارهم، وتكفل الاستفهام كأداة في التماسك النصي؛ ليؤدي دوره البلاغي كنظام من أنظمة الربط اللفظي في إبطال دعوى هؤلاء الكفار فيما يقولونه في حق الرسول –ﷺ– وإبطال ما يدَّعونه في حق كتابه العظيم من ادعاء أنه سحر وكهانة، وهذه الآية هي الشاهد الوحيد عند البلاغيين لهذا الغرض البلاغي ولهذا المعنى في القرآن الكريم، حتى ذهب بعضهم إلى أن هذا الأسلوب من مبتكرات القرآن وتفرداته حيث لم يُسمع في أشعار العرب وخطبهم[٢]، واسمُ الاستفهام (أين) أردف بصيغة الفعل المضارع المثبت(و) المُعبَّر بها في سياق الاستفهام الدالة على التجدد والاستمرار؛ لتُشعر بعموم الإنكار عليهم في كل الأزمان والأوقات؛ فتحقق الشرط الذي يتم به المعنى[٣].

وأدى الاستفهام هنا وظيفته في الربط بين السياق والمقام يقول السيد الشريف: "إن إيثار التعبير بطريق الاستفهام هنا دون التصريح بكونه طريق ضلال فيه مبالغتان إحداهما: أن كونه طريق ضلال أمر واضح يكفي في العلم به مجرد الالتفات إليه، والثانية: إيهام أن المخاطب أعلم بذلك الطريق من المتكلم، حيث يحتاج إلى السؤال عنه"[٤]، فظهر بذلك أن للروابط دورا مباشرا في

(١)– ينظر: مفتاح العلوم/٣١٥، والتلخيص/١٦٤، وشروح التلخيص٢/٢٩٢، والمطول/٢٣٥.

(٢)– ينظر: التحرير والتنوير ٣٠/١٦٤.

(٣)– ينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، د/ محمد عبدالخالق عضيمة١/٦٠٠، دار الحديث، القاهرة.

(٤)– حاشية السيد الشريف على المطول، الشريف الجرجاني /٢٣٥، تحقيق: رشيد أعرضي، دار الكتب العلمية، بيروت،٢٠٠٧م.

اتساق النص القرآني، ودورا غير مباشر في انسجام هذا النص، ويتحقق هذا من خلال قيام الروابط أولا بتحقيق الاتساق؛ لأنه لا انسجام للنص بدون توفر اتساقه هذا من جهة، ومن جهة أخرى تساعد بعض الروابط على قيام الآليات والمبادئ التي ينبني عليها الانسجام النصي مثل السياق.

كذلك أدت (الفاء) دورها في تحقيق التماسك النصي – فربطت ما قبلها بما بعدها فضلا عما تفيده من الترتيب والتعقيب –، والمتصلة بـ (أين) الاستفهامية رابطة لجواب شرط مقدر تقديره: إن كان أمر رسولنا ووحينا (القرآن) كما وُصف لكم آنفا، فأين تذهبون يا كفار مكة بعدئذ عنه إلا إلى ضلالات ومتاهات؟ وما بالكم لا تهتدون مع كل هذه الأدلة والبراهين؟ إذ الحق قد انكشف لكم؛ فلا طريق للصواب أبينُ من هذه الطريق التي بيَّنت لكم، إن الذي يُعرض ويتولى بعد هذا البيان يكون ذاهبا إلى متاهات منغمسا في ضلال مبين: "والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ظهور أنه وحي مبين، وليس مما يقولونه في شيء كما تقول لمن ترك الجادَّة بعد ظهورها: هذا الطريق الواضح، فأين تذهب؟!!"[(١)]. ويرى البعض أن الآية من قبيل الكناية اللطيفة حيث "دُلَّ على إنكار الذهاب بإنكار المكان الذي يمكن أن يذهبوا فيه، وإنكار مكان الشيء يستلزم عدم وجود ذلك الشيء"[(٢)].

ومن إثراء الترابط النصي (المنطقي) بنسق الاستفهام، أن النكات البلاغية لا تتزاحم بل تتراحم، فالأمر هنا لا يقتصر على ما ذكر من أن الاستفهام في الآية الكريمة للتنبيه على ضلال المخاطبين، فليس هذا حصرا لمعنى الاستفهام

(١)–تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى ١١٧/٩، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٢)– التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم د/عبدالعظيم إبراهيم المطعني، ٣٤٦/٤. ، مكتبة وهبة، القاهرة،٢٠١١م.

في ذلك؛ بل لأنه المعنى الظاهر منه، إلا أنه بجانب ذلك يفيد معنى إثارة مشاعرهم وحثهم على التفكر والتأمل؛ ليقبلوا على الحق ويتركوا طريق العناد واللجاجة، وهذا معنى جيد يدركه المتلقي؛ مما أدى إلى انسجام النص، وقد أشار الدكتور "محمد أبو موسى" إلى أن إدراك هذا المعنى من الاستفهام يتطلب الرجوع إلى سياق الآيات السابقة بدءا من القسم بالنجوم الخنس وما بعدها؛ حيث "إن الآيات تُبين مصدر القرآن، وأنه نزل به جبريل الذي هذا وصفه، على محمد الذي هذا وصفه، فأين تذهبون حين تقولونه؟ إنه إفك وأساطير الأولين لا شك أنكم ذاهبون في ضلالات ومجاهل...، فإذا كان هذا هو الحال في بيان القرآن ونزوله، وأنه كلام صاحب الهيمنة على الخنس وظواهر الطبيعة من ليل في بيان القرآن ونزوله، وأنه كلام صاحب الهيمنة على الخُنس وظواهر الطبيعة من ليل يُدبر، وصبح يُقبل، وأنه نزل به روح أمين ذي قوة عند ذي العرش، ونزل به على من أنتم أعرف الناس بصحة نفسه وصدق طبعه فأين تذهبون؟ واضح أن الاستفهام هنا ليس تنبيها على ضلال فحسب، وإنما هو بجانب ذلك إنكار ونفي واستجهال وتشهير بغفلتهم وتضييق عليهم، وأنهم لا يجدون ما يبين وجه الصواب في تقلبهم، وفيه من وجه آخر إغراء لهم باتباعه، وأنه الحق وليس بعده إلا الضلال"[1]، وقيل إن الآية من قبيل الاستعارة التمثيلية المركبة تشبيها للمعقول وهو حال الكفار المعنوية بالمحسوس؛ حيث "شُبهت حالهم في تركهم ما هو الصّواب والحق في باب الاعتقاد والعمل، وعدو لهم إلى ما هو الباطل في ذلك، بحال من يترك الجادة وهي معظم الطريق ويتعسف إلى ما ليس بسبيل قط؛ فإنه يقال له: إلى أين تذهب؟ استضلالا له وإنكارا على تعسفه، فقيل ذلك القول لمن ترك الدين الحق، وعدل عنه إلى الباطل على سبيل الاستعارة، والمعنى: أي

(١)- دلالات التراكيب د/ محمد محمد أبو موسى/ ٢٢١ مكتبة وهبة، الطبعة: السابعة.

طريق تسلكون أبين من هذا الطريق الذي ظهرت حقيقته ووضحت استقامته"[١].

ومن هنا يتبين أن أدوات الربط النصية (كأدوات العطف، وأدوات الجر، وأدوات القسم، وأدوات الشرط، وأدوات الاستفهام، وأدوات النفي) تمثلت بدورها في الحفاظ على اتساق النص وضبط المعنى، وتجاوز دورها من الربط التركيبي الجملي الذي تحدَّث عنه النحاة إلى الأثر البالغ الذي تتركه في كامل النص، وبُعدها التأثيري في نفس المتلقي، من خلال تحقيق أفعال كلامية كالتأكيد بالقسم، والنفي، والشرط، والاستفهام، والدعاء؛ مما يزيد النص انسجاما، وظهر ذلك جليا في استخدام أدوات الربط السابقة، وكل هذه وسائل تسهم في ترابط النص، وهي تسهم بشكل كبير في البناء الدلالي للنص؛ حيث تتعاضد فيما بينها لبناء النص، فلكل وسيلة وظيفة دلالية داخل النص لا تتعارض مع غيرها بل تتحد ؛ لتشكل معنى النص، وكان للسياق أثره في ربط النص، فعناصر السياق: كالمتكلم والمتلقي والمخاطب واحدة في جميع السور؛ مما أسهم في تماسكها وترابطها وانسجامها مع الأخذ بتلك الأساليب والتوجيهات البلاغية المتنوعة؛ إذ الأسرار البيانية للقرآن الكريم لا تنفد، وعجائبه لا تنقضي حيث تنويع أساليب الخطاب، والتفنن في استعمال العبارات، والبراعة في عرض التراكيب؛ لدفع ثقل تكرار الألفاظ؛ ولتزيد من هول الموقف وفظاعة الخطب باستحضار شدة ذلك المقام العظيم.

(١)- حاشية زاده على تفسير البيضاوي٤/٦٢٩، وينظر: الكشاف٤/٧١٤.

المطلب الخامس: الربط بالنسق الصوتي وأثره في التماسك النصي:

التماسك النصي بالنسق الصوتي واضح في اللفظة المفردة في كل آية من آيات السورة الكريمة، وهو من السبك المعجمي، فتكاد كل مفردة تستقل – بجرسها ونغمها وظلالها– بتصوير مشهد بديع الألوان؛ حيث اختيرت كلمات السورة الكريمة بدقة إعجازية بألفاظ معينة ذات صفات خاصة؛ لإشاعة جرس واحد في النسق وبما يتلاءم مع دلالته العامة، أو بما يساعد على تثبيت أطر الصورة المرسومة، ويحقق ظلالها المعنوية من خلال ثلاثة أشياء: الأصوات، والمعاني، والمشاعر ، فعند التأمل في النص القرآني: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ [التكوير ١٥–١٩]، تجد أن مفردات الآية اختيرت بدقة وعناية إعجازية، فجاءت مشتركة بدلالة المعنى والصوت اللذين يشكلان عنصرا واحدا في صرف مشاعر وذهن القارئ أو المستمع في اتجاه واحد(الانسجام)، وهو الغاية التعبيرية التي يحتاجها النسق أو البنية العامة، فمدار الدلالة المعجمية لمفردات الآية تدور حول الخفاء والمخافتة، فالخنس في أغلب معانيها تدل على السر والاختفاء والحبس والتأخر، وهي هنا بمعنى اختفاء هذه الكواكب، وتجد المفردة (الكنس) التي تستر كما تكنس الظباء في المغار، وتجد المفردة(عسعس الليل) بمعنى اعتكرت ظلماؤه، وهذا يعد في الاتساق والانسجام من الأضداد أي أقبل وأدبر، وذلك في مبدئه ومُنتهاه، فالعسعسه رقة الظلام، وذلك في طرفي الليل، وهو الحفيف من كل شيء، وقد شكلت هذه المفردات المختارة لهذا المعنى هندسة صوتية قائمة في بنائها على التكرار المقصود والمنتظم لصوت (السين) الذي ناغم بجرسه صور الألفاظ وإيحائها التي شكلته بهذه الصورة[1]، وعند إمعان النظر نجد همس السين المكررة وخفة وقعها في الأذن يوحيان بظلال النعومة وراحة النفس، وفي (گ)، و(گ) جرس يوحي بدلالة المعنى؛ إذ يرسم صورة حسية لإقبال ظلام الليل

(١)– ينظر: التحرير والتنوير ١٣٦/٣٠.

بآفاقه المترامية، ثم انسلاخ الصبح من مخبأ الليل وسجنه، فيصحو الكون، وتدب الحياة في أرجائه، كذلك تكرار صوت(السين) مع الحركة (السكون) في (الخنس، الكنس، عسعس، تنفس[١]) التي تشير إلى الهدوء والسكينة والطمأنينة المكتسبة من هدوء الليل الساكن، وصوت (الصاد) القريب بصفاته من صوت السين في (الصبح)، وما توحيه من إشراق وبهجة ونور، وصوت (التاء، والفاء) في قوله: (تنفس)، نلاحظ أن الأصوات المهموسة تشكل هامشا دلاليا واضحا يعبر بدقة وشفافية عن الصور التي أرادت هذه الألفاظ التي ترسمها "فعل الأجرام التي ذُكرت كائنات ليلية، وصورة الصبح الوحيدة كانت في وقت الفجر، وكل تلك الوحدات الزمنية تتسم بالهدوء والسكون، ويمكن أن نتحسس بما توحيه إلينا تلكم الألفاظ من حركة الأجرام على الرغم من عظمة أجرامها إلا أننا لا نسمع لحركتها صوتا بل نلمح فقط تغيير مواقعها في القبة السماوية، فهي أجرام سيارة"[٢]، كل هذا أسهم في ربط الوحدات النصية الكبرى بالوحدات النصية الصغرى؛ مما خلق أساسا مشتركا بينها(السبك والتلاحم)، وإحكام العلاقات بين أجزاء النص (الحبك والترابط)، فكان هذا التماسك النصي من خلال الربط بالنسق

(١) – المراد بـ (الخنس) الكواكب التي تخنس بالنهار، وقيل: الخنّس هي زحل والمشتري والمرّيخ؛ لأنها تخنس في مجراها، أي: ترجع، وأَخْنَسْتُ عنه حَقَّه: أخّرته، والمراد الْجَوَارِي الكنس: وَهِي خَمْسَة أنجم: زحل وَالْمُشْتَرِي والمريخ والزهرة وَعُطَارِد، وتكنس: أَي تستتر، كَمَا تكنس الظباء فِي كنسها، والخناس: الشَّيْطَان؛ لِأَنَّهُ يخنس إِذا ذكر الله عز وَجل، وقوله: (عسعس) أي: أقبل وأدبر، وذلك في مبدأ اللّيل ومنتهاه، فالعَسْعَسَةُ والعِسَاسُ: رقّةُ الظلامِ، وذلك في طرفي الليل، والعَسُّ والعَسَسُ: نفض الليل عن أهل الرّيبة. ورجلٌ عَاسٌّ وعَسَّاسٌ، والجميع العَسَسُ. وقيل: كلبٌ عَسَّ خيرٌ من أسد رَبَضَ، أي: طلب الصّيد بالليل، والعَسُوسُ من النساء: المتعاطية للرّيبة بالليل. والعُسُّ: القدح الضّخم، والجمع عَسَاسٌ، وقوله:(تنفس): أَي الصُّبْح انْتَشَر، وتتابع ضوؤه، ينظر: (غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب/٢١٤)، و(المفردات في غريب القرآن/٣٠٠).

(٢)– السور المكية دراسة بلاغية أسلوبية /١٨٨.

الصوتي.

ومن التكرار الصوتي لصوتين أو أكثر ما تجده في كلمتي (الكنس، الخنس)، حيث اتفاقهما في بنائهما المقطعي، فإنها تماثلت في صوتي(النون والسين)، وهو ما يسميه البلاغيون بالجناس الناقص، كما أن التكرار الصوتي لهذه الأصوات مجتمعة أو متفرقة تأتي عن قصدية كاملة من الخالق المبدع، وهو الحق سبحانه وتعالى وبكل طواعية؛ لتنسبك وتنسجم مع بعضها مجسدة النظم القرآني المعجز، فتكون أنواعها ذات صفات معينة لكل نوع منسجمة ومنسبكة مع المعنى الذي عبرت عنه وأبرزته، فمثلا عند الكلام على أحوال الأشقياء وأنواع عذابهم والتنكيل بهم، أو الحديث عن أهوال يوم القيامة نلاحظ حضور الأصوات الشديدة المجهورة التي تتوافق وهذا المعنى، أما عند الكلام على النعيم الذي أدخره الله لأوليائه المؤمنين، أو الحديث عن مواضع الاعتبار، تجد أصواتا مهموسة متفقة مع المعنى ومعبرة عنه.

ومن الانسجام النصي مجيء أصوات متتابعة كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير:٥]، فنجد هذا التتابع لصوت الحاء والشين يترك في الحس لدى المتلقي حال تلك الوحوش وصورتها في يوم القيامة، وهي نافرة قد هالها الرعب والهول، فحشرت وانزوت تتجمع من الهول، ونسيت مخاوفها بعضها من بعض، فجرس هذين الصوتين يعبر عن حالة الهلع والخوف التي تعيشها تلك الوحوش، فتنزوي وتضطرب من هول الموقف والنتيجة، ومن ثمَّ كان جرس الأصوات في القرآن الكريم يأتي ملبيا لحاجة المعنى والسياق، فإذا ما جاء المعنى رقيقا شفافا هادئا جاءت أصواته محاكية له بما يتلاءم معه ويجسده، أي أن تكرار الأصوات في القرآن الكريم هو وسيلة يتخذها السياق القرآني للتعبير عن معانيه وأغراضه، ومن ثمَّ كان القرآن الكريم أوضح نص تظهر فيه معالم التماسك النصي، فهو النص الإلهي المعجز في مفرداته، ونظمه، ومعناه، كما هو معجز في تماسكه وانسجامه.

المبحث الثالث

تشارب المعاني البلاغية وأثرها في التماسك النصي في السورة الكريمة:(١)

الحديث في هذا المبحث عن تشابك المعاني، وتشابه الصور ، وتلاقي الأفكار من خلال الوقوف على أبرز الأساليب البلاغية التي ساعدت في إحداث التماسك والترابط النصي داخل السورة الكريمة، فليس رونق اللفظ وحده هو الذي له السلطان على النفوس، ولكن لجوانب المعاني التي عولجت وعلاقتها بالعواطف الإنسانية والغرائز البشرية أثرا في السيطرة على الأفئدة، وامتلاك جوانب القلب، بل إن السحر كل السحر إنما هو في المقدرة على انتقاء هذه المعاني، والمقدرة على حسن التعبير عنها، والقرآن الكريم هو أجدر ما يملك هذا التأثير؛ لذا كان معجزا للإنس والجن.

وأول ما يطلعنا لتشارب المعاني من أنظمة الربط (أسلوب الشرط)، فقد أحدث تماسكا نصيا ليس في محيط السورة فحسب، بل ضمن سور بدئت كذلك بأسلوب الشرط، يطلق عليها: (المجموعة الشرطية، أو القسم الشرطي): وهذا من التماسك والترابط في المعاني الكلية؛ مما جعل هذا التلاحم يظهر بوضوح حيث

(١)– ورد هذا المصطلح في كتب الأستاذ الدكتور/ محمد أبي موسى، ويقصد به: أن يكون النص لحمة واحدة وإن تعددت المعاني، فهو في النهاية روح واحدة من أوله إلى آخره ذو طابع خاص، وأن هناك تقاربا وتجانسا وتشابها وتآلفا بين المعاني والصور، فإذا المعاني تتشابك، والصور تتشابه، والأفكار تتلاقى، فتجد كل جزئية من أجزاء النص تتعلق بالتي تجاورها؛ لتكون في النهاية فلكا يدور النص حوله، ولعل هذا ما يقصده "المرزوقي" بـ "التحام أجزاء النص والتئامها"(شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١/١٠، وينظر: (الشعر الجاهلي دراسة في منازع الشعراء، د/محمد أبو موسى، ط/٢ مكتبة وهبة ٢٠١٢م، ١٤٣٣هـ).

بدت المجموعة، وكأنها سورة واحدة أو نصا واحدا؛ لوحدة الموضوع، حتى وإن تعددت الأغراض وأسباب النزول مع اختلاف المقام والسياق، إلا أن المقصد واحد، فنجد أسلوب الشرط فاتحة لسبع سور، هي: "المنافقون، الواقعة، التكوير، الانفطار، الانشقاق، الزلزلة، النصر"، وكل ما في هذه السور من كلمات وجمل وتراكيب، وصور بلاغية، وإشارات ظاهرة أو خفية يتعانق ويمسك بعضه ببعض، ويرتد ثان منه على أول، ويلحق آخر بمتقدم في تناغم عجيب، وتناسق رائع، ورنين واحد، ونغم واحد عن طريق وشائج دقيقة، ونمنمات رقيقة، وهذه النمنمات البيانية والوشائج التي تتخفى بين عناصر تلك المجموعة جعلت الصورة صورة خاصة لها سمتها بنظام دقيق متكامل الأركان، فهذه السور السبع ذات طابع خاص، ولها خصائص أذكر أهمها، وقد استقيته من رسالة الأستاذ الدكتور عبدالعظيم المطعني: **أولاً:** أن الطابع الغالب عليها أنها مكية النزول، ما عدا "الزلزلة"، فهي مدنية باتفاق، وما عدا "النصر" ففيها رأيان: مكية باعتبار المكان؛ لنزولها بعد الهجرة، وما عدا "المنافقين"، فمدنية باتفاق.

ثانياً: أن معظم هذه السور حديث عن القيامة ومقدماتها مع ما اقترن به الحديث عنها من أغراض أخرى لها بالمقام نسب ورحم.

ثالثاً: أن الشرط فيها قد تردد كثيراً في السورة الواحدة، ولم يقتصر وروده على مطلع السورة فحسب، وذلك أمر ظاهر من مجرد تلاوة هذه السور السبع وتتبع أساليب التعبير فيها.

رابعاً: أن هذه السور السبع –المجموعة الشرطية أو القسم الشرطي– موضوعاتها أمور مستقبَلة في الغالب استقبالاً حقيقياً، كما سيحدث من مقدمات القيامة وأهوال الحشر، أو استقبالاً باعتبار الحكاية، كمجيء نصر الله في مطلع سورة "النصر" إلا ما دعا إليه المقام من الأغراض الأخرى كتقرير أمر واقع، أو لمحة من أخبار تكمل بها الصورة ويتضح بها المقام.

خامساً: أن الحديث فيها إذا كان عن مشهد من مشاهد القيامة، أو عن

أمر يتكرر من مظاهر الطبيعة وسُنة الله في الكون، أو عن مصير عام محتوم، أو ما قارب هذه الأمور، فالأداة المفضلة هي "إذا " المؤذنة بتحقيق شرطها وجوابها، وإن لم يكن الحديث عن هذه الأمور بل غيرها: فالأداة غيرها "إن " أو " لو "، وما شابه ذلك [١].

والقيمة البيانية لهذا المطلع الشرطي التي من أجلها –والله أعلم – آثر القرآن افتتاح هذه السور بها، هي أن الأسلوب الشرطي يمتاز بربطه بين أجزاء الكلام ربطاً ملاحَظاً فيه ترتب السبب على السبب، وهو من أبرز أدوات التماسك النصي، فإذا ذكِرت أداة الشرط وأردفت بفعل الشرط تشوقت النفس إلى ذكر ما سيكون، فإذا ذكِر الجواب بعد هذه الإثارة وهذا التشويق تمكن أيما تمكن.

<u>والذي يزيد من هذه القيمة البيانية لأسلوب الشرط في القرآن الكريم أمران:</u>

الأول: أن القرآن في غالب الفواتح من هذا النوع لا يكتفى بفعل شرط واحد –كما هو الحال في غيره – بل يقرن به أشباهاً ونظائر يطول تأمل السامع فيها وتضاعف من تشوقه إلى الجواب كلما انتقل من جزء إلى جزء، فيأتيه الجواب بعد تلهف وطول ترقب.

الثاني: أن أجزاء الأسلوب الشرطي في القرآن ليست من جنس ما يستعمله الناس من أمور عادية قد لا يهتم بها إنسان، أو ليس للوقوف عنده على مدلولاتها كبير معنى –أو ربما تنبأ سَلفاً – بما سيكون عليه الحال فلا يفيد منها فائدة جديدة، وليس الحال كذلك في القرآن، بل فيه – فوق دقة النظم وجمال التركيب – غرابة وجزالة[٢]، وسورة التكوير خير شاهد على هذا، فعند التأمل

(١)– ينظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (رسالة دكتوراه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى)، عبدالعظيم إبراهيم محمد المطعني ٢١٠/١، مكتبة وهبة، ط١، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢م.

(٢)–ينظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ٢٠٩/١.

للشرط الذي بدئت به، والنظر إلى الأشباه والنظائر التي عطفت عليه؛ لنستحضر معاني هذه الصور التي ترمز إليها كل وحدة من وحدات الشرط وأشباهه ونظائره؛ ولنحاول تأملها كأنها واقعة – الآن بالفعل – ولندرك كم من المراحل سبحنا فيها، وكم من المشاهد تجددت أمامنا كل مشهد غريب في هيئته وصورته رهيب في حدوثه وظهوره، يعلو ويسفل... مرة في السماء وأخرى على الأرض، إنها رحلة طويلة شاقة تقطعها النفس حتى تقف على حقيقة المرحلة والغاية التي من أجلها شُدَّت الرحال: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٤] ،هنا تستريح النفس من عناء رحلة بهرت الأنفاس، ولكنها استراحة "ليست بالطويلة"، فهي على موعد مع رحلة طويلة أخرى تبتدئها من هنا، رحلة من رحلات الكون ليس المقطوع فيها مسافة أرض بل وحدات زمن وتجدد ظواهر: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير ١٥-٢٠] ، هاتان رحلتان، أولاهما أطول من الثانية، وبين الرحلتين نسب وثيق وعرى محكمة، فالسورة كلها مسوقة؛ لبيان وتقرير حقيقتين كبيرتين، هما: وقوف الإنسان على حقيقة أمره يوم القيامة، ووصف القرآن بما هو حقيق به من أوصاف الكمال، وكل من هاتين الحقيقتين ذُكِرَ معها ما يمهد لها ويناسبها، ففي جانب الحقيقة الأولى أديت المعاني المقصودة منها بشرط ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١]، ثم تتابعت نظائره وأشباهه حتى بلغت اثنتى عشرة صورة من صور البعث، وبلغت الوحدات في هذا الجزء من السورة أربع عشرة وحدة محسوباً في ذلك جواب الشرط، والوحدة اللاحقة بالحديث عن الموؤدة، وكل هذه الصور من مشاهد القيامة وأهوالها، وكلها آيات دالة على قُدرة الله الفائقة[1]، وهنا يكمن الإعجاز في النظم القرآني، فكيف اجتمع على موضع

(١)-ينظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ١/٢١٠.

واحد(الإطناب) الذي يمثله تكرار (إذا) مع الإطناب في ذكر الاثنتي عشرة جملة، و(الإيجاز) الذي يمثله ذكر (إذا) مع جملة الشرط، وذكر جواب شرط واحد لكل جمل الشرط الاثنتي عشرة، وهذا من تشارب المعاني البلاغية؛ حيث ذهب د/محمد عبدالله دراز إلى أن القرآن إيجاز كله يستثمر برفق أقل ما يمكن من الألفاظ في توليد أكثر ما يمكن من المعاني سواء مواضع إجماله (مقام الإيجاز)، ومواضع تفصيله(الإطناب)[١].

كذلك كان لأسلوب التقديم أثر بالغ في تشارب المعاني في السورة الكريمة، وله أثره في التماسك النصي: حيث أدى هذا اللون البلاغي دوره في التماسك النصي، فتجد تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي (الشمس، النجوم، الجبال، العشار، الوحوش، البحار، النفوس، المؤودة، الصحف، السماء، الجحيم، الجنة) يفيد تقوية الحكم وتأكيده؛ وذلك لغرابة الخبر لوقوعه على خلاف العادة، والخبر الغريب وخلاف العادة يكمن في انفراط عقد نظام الكون المحكم، المتين الصنعة، الموزون الحركة، المنسق الجميل، فتتناثر أجزاؤه، وفي هذا هدف وغاية من السورة الكريمة بالوحدانية، وهذا إقرار من المشاعر والقلوب؛ كي تنفصل من المظاهر الزائلة مهما بدت ثابتة، بالحقيقة الباطنة، حقيقة الله الذي لا يزول.

وفي هذا التقديم مزيد توكيد لتلك الأخبار، وتقوية الحكم في أذهان السامعين، فالمسند في الآيات السابقة جاء فعلا رافعا لضمير عائد على المسند إليه(الإحالة الضميرية)، وسر التقوية لما فيه من تكرار الإسناد حيث إن الأفعال (كورت، انكدرت، سيرت، عطلت، حشرت، سجرت، زوجت، سئلت، نشرت، كشطت، سعرت، أزلفت) أسندت مرتين، أولا: إلى الضمير المستتر العائد إلى المسند إليه المقدم، ثم أسندت ثانيا: إلى الاسم الظاهر قبله، وبتكرار الإسناد

(١)– ينظر: النبأ العظيم ، د/ محمد عبدالله دراز/١١٠.

يتقوى الحكم، ويتقرر في ذهن السامع والمخاطب، وهذا من أنظمة الربط التي تحدث تماسكا وانسجاما(التماسك المعجمي).

وإذا أعرب الاسم الظاهر مبتدأ، فيكون غرضه البلاغي تشويق المخاطبين إلى ذكر الخبر؛ بسبب تقديم المسند إليه على المسند الفعلي، وتنبيهه على أن حديثا سيدور بشأنه؛ ليلتفت إليه، فيتحقق الحكم لديه، ويثبت في ذهنه، وهذا الإعلام والتنبيه بمثابة التكرير في تأكيد الكلام وتماسكه وترابطه يقول الإمام عبدالقاهر: "لا يُؤتى بالاسم مُعَرَّى منَ العوامل إلاَّ لحديثٍ قد نُويَ إسنادُه إليه... ، وجملةُ الأمر أنه ليس إعلامُك الشيءَ بغتةً غفلًا، مثْلَ إعلامِك له بعْدَ التنبيهِ عليه والتقدمةِ له، لأنَّ ذلك يَجْري مَجْرى تكرير الإعلام في التأكيد والإحكام"(١).

ومن تشارب المعاني عن طريق نظام بلاغي آخر من أنظمة الربط وهو (الفصل والوصل)، وله أثره في التماسك النصي: حيث الوصل بين الجمل الأولى في مطلع السورة؛ وذلك لوجود الجامع والمناسبة، وقصد التشريك في الحكم، فكل الجمل المذكورة تدخل في حكم واحد وهو ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير:١٤]، والمناسبة دقيقة وخفية كما أن التناسب بين الكلمات داخل الجمل مترابطة؛ فأحدثت تماسكا نصيا من خلال هذا الوصل، فالنجوم ناسب ذكرها بعد الشمس، وهذا من ذكر العام بعد الخاص، لكن هل توجد مناسبة بين الشمس والنجوم والجبال؟ نعم، فالشمس والنجوم في السماء، والجبال في الأرض، وهذا من التناسب الدقيق الخفي، لما للجبال من دور بارز في اتزان حركة الأرض ككوكب، فالجبال كما وصفها القرآن بالرواسي، وقد أثبتت الدراسات المتخصصة في هذا أن الجزء البارز على سطح الأرض ليس إلا القمم لكتل هائلة من

(١)- دلائل الإعجاز/١٣٢.

الصخور التي تطفوا في نطاق الضعف الأرضي[١]؛ لذلك تظهر المناسبة جليلة واضحة في ذكر الجبال تلو النجوم والشمس، وكأن نهاية الشمس نهاية الجبال والتي هي أعظم المخلوقات التي يراها الإنسان على ظهر الأرض، فلم يعد يكترث بما حوله من هول ما يرى، وهذا من تشارب المعاني عن طريق الوصل بين الجمل، الأمر الذي يساهم في التلاحم بين أجزاء النص سبكا، وحبكا، وانسجاما، فيرى "الغرناطي" أن الأهوال المذكورة في أول سورة التكوير ابتداء من نفخة الصعق وانتهاء بتسعير الجحيم، وإزلاف الجنة، وتقريبها لداخليها أهوال مشاهدة جيء بها منسوقة بالواو المقتضية للجمع حتى كأن تلك المقامات قد عبر عنها بلفظ واحد وتحصّلت حاضرة للتصور الذهني، ومن ثَمَّ ناسب تقدير الأعمال المترتب عليها الجزاء حاضرة والعبارة عنها بما يحصل ذلك، فقيل: ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ﴾ [التكوير: ١٤]، وكأن قد قيل : إذا حضرت هذه الأهوال مدركة للعيان حضرت أعمالكم بالتذكير لها ومطالعتها مكتوبة محصورة في الصحف التي لا تغادر صغيرة ولا كبيرة[٢] .

<u>ومن تشارب المعاني تضافر الصور البلاغية بعضها ببعض؛ لتنتج تماسكا نصيا ومعاني متعددة</u>: حيث تضمنت السورة الكريمة ضروبًا من البلاغة، وأنواعًا من الفصاحة والبيان والبديع: فمن تشارب المعاني البلاغية هذا التركيب الإسنادي المجازي: في قوله: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾ [التكوير: ١] ؛ لأن تكويرها عبارة عن إزالة نورها، والذهاب بها بحكم التزام زوال اللازم لزوال

(١)– ينظر: الأرض في القرآن، د/ زغلول النجار/٢٢٥:٢٢٨،دارالمعرفة، بيروت، لبنان.

(٢)– ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر ٥٠٤/٣، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

الملزوم، وفيه استعارة تصريحية تبعية؛ لأن التكوير حقيقة في تكوير الثوب والعمامة ولفها، فاستعير لإزالة ضوء الشمس بجامع الستر في كل، وكذا قوله: ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ [التكوير:٣]؛ لأن السير حقيقة في الذهاب في الأرض والمضي فيها، فاستعير لإعدام الجبال وإزالتها عن مكانتها.

ومن الصور البلاغية توجيه السؤال إلى الموءودة في قوله: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾ [التكوير:٨]؛ لتسليتها، وإظهار كمال الغيظ والسخط لوائدها، وإسقاطه عن درجة الخطاب، والمبالغة في تبكيته؛ لذا لم يسأل الوائد عن موجب قتله لها، فإن سؤالها أفظع في ظهور جناية القاتل، وإلزام الحجة عليه، فإنه إذا قيل للموءودة: إن القتل لا يجوز إلا لذنب عظيم، فما ذنبك، وبأي ذنب قتلت؟ كان جوابها: إني قتلت بغير ذنب، فيفتضح القاتل ويصير مبهوتًا.

كذلك: نكَّر (ڈ) في قوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير:١٤]؛ لإفادة العموم، وقد يعترض معترض بأن النكرة لا تفيد العموم إلا إذا كانت في سياق النفي، وهي هنا واقعة في سياق الإثبات، فلا تفيد العموم، بل تفيد الإفراد والنوعية، فكيف يتفق الإفراد مع العموم الذي يناسبه المقام؟ والجواب: أن كونها للعموم في سياق النفي دون الإثبات أغلبي لا كلي، فلا ينافي أنه قد يقصد بها العموم في سياق الإثبات بقرينة المقام كما هنا، وقد يجاب هنا بجواب آخر: وهو أن النكرة هنا وقعت في سياق الشرط، وسياق الشرط كسياق النفي في أن النكرة للعموم إذا وقعت في كل منهما، وهذا من براعة السياق وقوة السبك والحبك في إيصال المعاني المرادة من النظم الكريم.

كما أن إسناد القول إلى جبريل في قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير:١٩]؛ لاعتبار السببية الظاهرة في الإنزال والإيصال على أن المراد بالرسول هو جبريل، ثم هذا التعرض لعنوان المصاحبة في قوله: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير:٢٢]؛للتلويح بإحاطتهم بتفاصيل أحواله – ﷺ – خبرًا،

وعلمهم بنزاهته عما نسبوه إليه بالكلية، فإنه كان بين أظهرهم في مدد طويلة، وقد جربوا عقله، فوجدوه أكمل الخلائق فيهم، ولقبوه بالأمين الصادق.

ومن الصور البلاغية هذا الإسناد المجازي في قوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [التكوير:٢٣]، فإن إسناد الإبانة إلى مطلع الشمس مجازي باعتبار المحلية لها، فإن الإبانة في الحقيقة لضياء الطالع منه، وهذا من الإحالة النصية المقامية التي ساهمت في خلق التماسك داخل النص الكريم.

<u>ومن تشارب المعاني البلاغية البيانية</u> في السورة الكريمة هذه الاستعارة المكنية في قوله: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾﴾، فقد شبه الليل بإنسان يقبل ويدبر، ثم حذف المشبه به، وأخذ منه شيئًا من لوازمه، وهو لفظ عسعس؛ أي: أقبل وأدبر، كما شبه الصبح بحيوان حي يتنفس، فحذف المشبه به، وأتى بشيء من لوازمه، وهو التنفس؛ أي: خروج النفس من الجوف، أو يقال: إنه شبه الليل بالمكروب الحزين الذي حبس بحيث لا يتحرك، فإذا تنفس وجد راحته، وهنا لما طلع الصبح، فكأنه تخلص من الحزن كلية، فعبر عن ذلك بالتنفس، وهذا التصوير يجعل النص منسجما لدى السامع، وكأن الصورة أمامه حية يشاهدها بنفسه وهذا أصل التماسك.

ومنها: الاستعارة المكنية في قوله: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ [التكوير:٢٦] حيث شبه حالهم بحال من يترك الجادة وسلك غيرها، فإنه يقال له: أين تذهب؟ استظلالًا له وإنكارًا على تعسفه.

<u>ومن أبرز المعاني البديعية</u> في السورة الكريمة: توافق الفواصل؛ رعاية لرؤوس الآيات بالتاء الساكنة، وهي من الحروف المهموسة، وتساوت الوحدات الصوتية، فصارت كالأنغام الموسيقية سريعة الحركة لاهثة الإيقاع تشترك بتصويرها الصوتي في تجسيم المشهد وتمثيله للخيال، ثم هذا الطباق بين لفظ (الْجَحِيمُ)، و(الْجَنَّةُ)، ثم الجناس الناقص بين (أَمِينٍ)، و(مَكِينٍ)، و(الْخُنَّسِ)،

و(الْكُنَّسِ)، وفي الكلمتين أيضًا فن الالتزام، وهو لزوم النون فيهما قبل السين، وكل هذا له أثر كبير في تلاحم وتماسك السورة الكريمة، فكانت وحدة واحدة.

وفي نهاية المطاف: تميّزت سورة التكوير في جميع آياتها بخصيصة بلاغية عظيمة هي إيجاز القصر، فكلماتها القليلة في غاية الإيجاز والاختصار تدل على معان كثيرة لا يمكن استقصاؤها أو الإحاطة بها، ومن تأمل في تراثنا الإسلاميّ العظيم من خلال كتب التفسير يلحظ تنوع المعاني وكثرة التأملات التي استنبطها علماؤنا من آي هذه السورة ما يشير إلى عظيم بلاغتها، وسمو إعجازها، وغزارة معانيها.

الخاتمـــــــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وبعد:

ففي نهاية المطاف لهذه الرحلة الماتعة مع التماسك النصي وأنظمة الربط في سورة التكوير، وهي من السور التي عالجت أهوال يوم القيامة، وقد تكرر الحديث عنها في مواطن كثيرة من القرآن الكريم، فكم يشعر الإنسان بهزة وخوف بين يدي آيات يوم الفزع الأكبر، فيحس بهيبة ألفاظها وإبداع سبكها، وروعة تصويرها لمعانيها، وسورة التكوير تميزت بالوضوح الشديد والتماسك والترابط والتناسب بين آياتها وأجزائها في معالجة هذه الأهوال العظيمة، ففيها حسن تصوير، وانتقاء ألفاظ، وخفة، وإتقان أسلوب وإحكام، وجودة سبك، وقوة تأثير.

ومن خلال هذه الدراسة توصلت إلى أهم نتائج البحث وتتلخص في الآتي:

- حرص القرآن الكريم على عرض المعنى الواحد في معارض متعددة؛ مما يدل على التماسك والترابط بين تلك المعاني، ومن ذلك مشاهد يوم القيامة والحساب والجزاء، وما فيها من أحداث مروعة للنفوس، مفزعة للقلوب، مقلقة للمشاعر، فقد ذُكرت في سور كثيرة منها: سورة التكوير والانشقاق والانفطار، وتجاورها يشير إلى التقارب في مقاصدها خصوصا مع تشابهها في مطالعها الواردة على أسلوب الشرط.
- كشفت الدراسة عن العلاقة الوطيدة والوثيقة بين طرفي القسم في هذه السورة (المقسم به والمقسم عليه)، وما يكون بين عناصرها من ارتباط واتصال من نواح كثيرة.
- من أنظمة الربط في السورة الكريمة (واو القسم) والقسم بها أسلوب بلاغي لبيان المعاني بالمدركات الحسية وما يُلمح فيه من الإعظام، إنما يقصد به قوة اللفت، واختيار المقسم به تراعى فيه الصفة التي تناسب الموقف؛ مما أحدث تماسكا نصيا بصورة متكاملة.

- الأهوال التي هي موضوع السورة، ستة منها تحصل آخر الحياة، وستة في الآخرة، ومن أنظمة الربط في السورة الكريمة(إذا) الشرطية، وكان من آليات التماسك النصي تكرارها؛ مما أفاد الاستقلال لكل حدث مع مضمون الجواب، وهذا النظم والترتيب القرآني يدعو السامع للتفكر في عاقبة كل ما سيحدث فضلا عن الإعجاز البياني سبكا وحبكا.
- تضافرت الصور البيانية مع عناصر أخرى لتوكيد المعنى، محققة للمضمون المراد إثباته، فتجد الإعجاز في اختيار الألفاظ لمواضعها، ونهوض هذه الألفاظ برسم الصورة على اختلافها.
- تنوعت أساليب الخطاب في هذه الدراسة، والتفنن في استعمال العبارات، والبراعة في عرض التراكيب؛ لدفع ثقل تكرار الألفاظ؛ ولتزيد من هول الموقف وفظاعة الخطب باستحضار شدة ذلك المقام العظيم.
- جاءت خاتمة السورة بإثبات هداية القرآن الكريم والانتفاع به لمن أراد السبيل القويم والطريق المستقيم، وتقرير أن كل شيء بإرادة الله رب العالمين،
- : فتضافر التناسب المعنوي مع اللفظي؛ فأحدث تماسكا وانسجاما.

توصيات

- لاتزال مكتبة كليات اللغة العربية بجامعة الأزهر في احتياج إلى الاستزادة من المراجع والمصادر، والرسائل العلمية المتنوعة (ماجستير ودكتوراه) التي تعنى بدراسة التماسك النصي.
- إبراز معالم التلاقي بين البلاغة العربية والدراسات النصية، وتطبيق ذلك في ضوء تراثنا اللغوي.

وبعد، فالحمد لله أولا وآخرا، وأرجو لهذا البحث أن يكون خالصا له وحده، ونستغفره من زلة وقعنا فيها بغير قصد، ونتوب إليه، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم تسليما كثيرا.

والحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

- الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.
- أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث، توفيق الزيدي، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٤م.
- الأرض في القرآن، د/ زغلول النجار، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- أساليب الشعرية المعاصرة، صلاح فضل، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٨م.
- أسرار البلاغة عبدالقاهر الجرجاني ، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر: مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.
- أسلوبية ونظرية للنص، إبراهيم خليل، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٩٧م.

أسماء سور القرآن وفضائلها، د منيرة محمد ناصر الدوسري، ط١، دار

- ابن الجوزي ، ٢٠٠٥م
- أفعال العباد بين الجبر والاختيار، د/ عبدالملك السعدي ، ط١، دار النور المبين للدراسات والنشر، الأردن.
- أمالي المرتضي، (غرر الفوائد ودرر القلائد)، الشريف المرتضي علي بن الحسن الموسوي العلوي، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العلمية ١٩٥٤م.
- البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ، تحقيق د/أحمد بدوي، د/حامد عبدالمجيد.

- البرهان في تناسب سور القرآن، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر، تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب ، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
- البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧م: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.
- بيان إعجاز القرآن لأبي سليمان الخطابي، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن- تحقيق: محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام، ط٦ ، دار المعارف.
- البيان والتبيين، للجاحظ ، دار ومكتبة الهلال، بيروت : ١٤٢٣ هـ.
- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور التونسي ، الدار التونسية للنشر - تونس: ١٩٨٤ هـ.
- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى : دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، د/عبدالعظيم إبراهيم المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة،٢٠١١م.
- التفسير البياني، عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ، الطبعة: السابعة، دار المعارف - القاهرة.
- تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م .
- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي : دار طوق النجاة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

- تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضي، محمد بن الحسن، بغداد ، المكتبة العلمية.
- التناسب في تفسير الإمام الرازي دراسة في أسرار الاقتران د/ منال مبطي المسعودي ، ط١، مكتبة وهبة ٢٠١٠م.
- حاشية السيد الشريف على المطول، الشريف الجرجاني، تحقيق: رشيد أعرضي، دار الكتب العلمية، بيروت،٢٠٠٧م.
- حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي، دار صادر– بيروت.
- حركية الإبداع، خالدة سعيدة ،ط١، دار العودة بيروت.
- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (رسالة دكتوراه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى)، عبدالعظيم إبراهيم محمد المطعني ، مكتبة وهبة، ط١، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢م.
- دراسات لأسلوب القرآن الكريم د/ محمد عبدالخالق عضيمة، دار الحديث، القاهرة.
- دلالات التراكيب د/ محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة، الطبعة: السابعة.
- دلائل الإعجاز، تعليق محمود محمد شاكر أبو فهر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، ط٣، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م .
- السور المكية دراسة بلاغية أسلوبية، عروة خليل إبراهيم الدباغ /جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد العلوم الإنسانية ١٩٩٧م.
- شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، المرزوقي، تعليق/غريد الشيخ، ط١، دار الكتب العلمية ٢٠٠٣م.
- الشعر الجاهلي دراسة في منازع الشعراء، د/محمد أبو موسى، ط/٢ مكتبة وهبة ٢٠١٢م، ١٤٣٣هـ).
- الصناعتين: أبو هلال العسكري/ ت /علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم: المكتبة العنصرية – بيروت: ١٤١٩ هـ.

- غريب القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المحقق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ.
- فتح الرحمن شرح ما يلتبس من القرآن، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي، المحقق: محمد علي الصابوني: دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م.
- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني : دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ.
- القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ت: منذر عياشي، ط٢، المركز الثقافي العربي، المغرب،٢٠٠٧م.
- كتاب الصناعتين، العسكري، تحقيق/عبدالمحسن سليمان، ط١، المكتبة التوقيفية ٢٠١٣م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد، المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة.
- مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع – بحث في العلاقات بين مطالع سور القرآن وخواتيمها، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، قرأه وتممه: د. عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦.
- مسالك العطف بين الإنشاء والخبر، محمود توفيق سعد، ط١، مطبعة الأمانة بالقاهرة ١٩٩٣م.

- المشاهد في القرآن الكريم دراسة تحليلية وصفية، د/ حامد صادق قنيني، مكتبة المنار، الأردن، ط١ ١٩٨٤م.
- مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ، ويُسَمَّى: "المَقْصِدُ الأَسْمَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى"، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، مكتبة المعارف – الرياض ط١ ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧م.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، المحقق: عبد السلام محمد هارون: دار الفكر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
- مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء، د/ حامد صالح الربيعي، مكتبة الملك فهد الوطنية ١٩٩٦م.
- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
- من روائع القرآن – تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، محّمد سَعيد رَمضان البوطي، مؤسسة الرسالة – بيروت : ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.
- الموسوعة القرآنية، خصائص السور: جعفر شرف الدين، المحقق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٠هـ .
- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم: محمد بن عبد الله دراز/ ٩٩، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، قدم له: أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني: دار القلم للنشر والتوزيع: طبعة مزيدة ومحققة ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م.

- النص والخطاب والإجراء، جراند/تمام حسان، ط١، عالم الكتب القاهرة ١٩٩٨م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- النظم القرآني في كتاب الزمخشري للدكتور درويش الجندي، القاهرة، دار ومكتبة نهضة مصر.
- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز لفخر الدين الرازي، مطبعة الآداب بالقاهرة ١٣١٧هـ.

فهرس المحتويات

م	الموضوع	الصفحة
١	ملخص البحث	١٦٥٥
٢	المقدمة	١٦٥٧
٣	تمهيد: المراد بأنظمة الربط، والتماسك النصي	١٦٦٠
٤	المبحث الأول: التناسب بين المقدمات والمعاقد والخواتيم.	١٦٦٨
٥	المبحث الثاني: أنساق الروابط اللفظية في سورة التكوير.	١٦٨٤
٦	المبحث الثالث: تشارب المعاني البلاغية وأثرها في التماسك النصي في السورة الكريمة.	١٧٠٨
٧	الخاتمة	١٧١٨
٨	المصادر والمراجع	١٧٢٠
٩	فهرس الموضوعات	١٧٢٦